الجواهر الحسان
في تحقيق معرفة أركان الإيمان

تأليف: أرباب العقائد

(١٠١٧- ١١٠٢هـ)

تحقيق:

حسين الفضل عباس

محمد السيد أرباب

محمد صلاح عصملي

٢٠١٧م

الفهرس

تقديم.. ٣
ترجمة المؤلف ٥
مخطوطات الكتاب... ١٠
[مقدمة المؤلف].. ١٦
[الركن الأول: الإيمان بالله] ١٧
[الصفات الواجبة في حق الله تعالى].. ١٧
[الصفات المستحيلة في حق الله تعالى] ٢١
[الصفات الجائزة في حق الله تعالى] ٢٤
[حكم معرفة البرهان على صفات الله تعالى]................................ ٢٥
[البرهان على صفات الله تعالى] ٢٥
[صفات الرسل الواجبة والمستحيلة والجائزة] ٣١
[الأدلة العقلية على صفات الرسل] ٣٣
[الركن الثالث: الايمان بالملائكة] ٣٦
[الركن الرابع: الايمان بالكتب السماوية] ٣٨
[الركن الخامس: الايمان باليوم الآخر] ٣٩
[الركن السادس: الايمان بالقدر]... ٤٩
[الخاتمة].. ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

لقد كان لعلم العقائد في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين رونق علمي ومنهج خاص مثّل خلاصةً لما أنتجه العقل الإسلامي بعد تلخيصه وتشذيبه. وكانت حفاوة الجمهور العلمي وطلبة العلوم الإسلامية به بالغة إذ كان يمثل بجانب علوم القرآن والفقه والتصوف الركيزة الأساسية لتدريس علوم الدين لا سيما في المغرب الإسلامي الذي ورث علوم المسلمين بالأندلس وهم أئمة هذا الشأن.

وفي السودان الذي كان كبير التأثر بعلوم المغرب الاسلامي – في عهد دولة الفونج التي مثلت بداية السيطرة الإسلامية على بلاد لها تاريخ نصراني راسخ – كان الاهتمام بعلم العقائد كبيراً تولته مجموعة من كبار العلماء الذين اشتهروا بالبراعة فيه وذلك بمنهج استدلال عقلي تجاوز مصطلحات المتكلمين المعقدة مع الاحتفاظ بجوهر المحتوى العلمي وشيء من الاختصار ما أعطى تدريس هذا العلم رونقاً اجتذب الطلاب من كل حدب وصوب. وكان مدار المادة العلمية لعلم العقائد هو ما شاع في بلاد المغرب الإسلامي من كتب رائجة في ذلك الزمان. قال البروفيسور يوسف فضل يصف تدريس علم العقائد في السودان في عهد الفونج: (كانت دراسة علم العقائد تدور حول متن السنوسية وهي مقدمة في التوحيد من ثلاث مقالات: كبرى وتعرف بعقيدة أهل التوحيد، ووسطى ولعلها ما يسمى بالمرشدة، وصغرى وهي أم البراهين لأبي عبدالله محمد السنوسي التلمساني المتوفى ٨٩٥ هـ/١٤٨٠م. وقد كتب المؤلف شروحاً مختلفة لهذه المقدمات وجد بعضها طريقه إلى السودان كما شرحها غيره، وشرحها من السودانيين: المضوي محمد بن محمد أكداوي الذي وضع عليها أربعة شروح. كما ألف محمد بن عدلان الشايقي شرحين: كبيراً وصغيراً على أم البراهين وكتب أيضاً شرحاً على العقيدة الأشعرية وصنف عبدالله بن دفع الله العركي نظمين على كبرى السنوسية ومقدمات السنوسي. وممن مهروا في علم التوحيد أرباب الخشن المشهور بأرباب العقائد الذي ألف كتابا في أركان الإيمان أسماه "الجواهر"، وكان ذا نفع عظيم)[1].

وقد ضاعت كل هذه المؤلفات السودانية المشار إليها للأسف ولم يصل إلينا منها شيء إلا أن يكون مخطوطاً غير مطبوع ولا معروف سوى الكتاب الذي بين أيدينا. وهو ما يعطيه أهمية خاصة، إذ حاز كتاب (الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان) مكانة عالية في صدارة الكتب التي اشتهرت في ذلك الزمان وجرى العمل على تدريسها في كثير من خلاوى وكتاتيب العلم كمنهج دراسي معتمد في

(١) من مقدمة تحقيق كتاب "طبقات ود ضيف الله" لمحققه البروفيسور يوسف فضل ص٥.

باب العقيدة. وقد كان المؤلف رحمه الله يباشر تدريسه بنفسه في حلقاته العلمية التي نبغ تلاميذها واشتهروا وتكاثروا وخرّجت أفذاذاً سارت بهم الركبان وانتشر صيتها ليعمَّ المنطقة الممتدة من البحر الأحمر وحتى المحيط الأطلسي والتي تشمل الدول الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء وهي المناطق التي انتشر فيها هذا الكتاب ووجد مكاناً مرموقاً في كل مكتباتها المعروفة وما زالت مخطوطاته التي تنتشر في كل من الحبشة وتشاد ومالي والنيجر وحتى موريتانيا حتى اليوم شاهدة على ذلك.

وبرغم الانشار الواسع لهذا الكتاب في إفريقيا في حياة المؤلف وبعده بقرون باعتباره مادة أساسية للتدريس في حلقات العلم إلا أن انتشاره في الواقع بلغ مدًى أكبر من ذلك بكثير وصل إلى أقاصي العالم الإسلامي كما تدل على ذلك المخطوطات التي وجدت بأندونيسيا وألبانيا.

الكتاب الذي بين أيدينا هو مدخل للباحثين للوقوف على مناهج وطرق تدريس العقيدة التي سادت في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري وهو فرصة لدراسة الحجة العقلية للعقيدة الإسلامية في صورتها التي أنتجتها عقول أبرز علماء ذلك الزمان لاسيما في عصرنا الذي غلب عليه النظر العقلي وأصبح المؤثر الأكبر على عقول جمهرة البشرية المتعطشة لنور الهداية الربانية.

كما أنَّ الكتاب يمثل مدخلاً إلى علوم دولة الفونج المنسية رغم أنها كانت منارة علمية تجتذب المسلمين من شتى بقاع إفريقيا لاسيما أنها معلم رئيس في طريق الحج الإفريقي وذلك بسبب ندرة المخطوطات وضياع الكتب التي كانت سائدة فيها وزوال رسمها إلا من أثر ذكرها في كتب بعض المؤلفين. فمن خلال هذا الكتاب يمكن معرفة مستوى العلوم واللغة والثقافة ونوع الحجة وشكل البرهان واهتمام الطلاب العلمي.

إنَّ الكتاب الذي بين أيدينا يكتسب أهمية فائقة لكل ما أشرنا إليه: أولاً لمكانه من بين كتب العقيدة الإسلامية، وثانياً لإضاءته لمحة من تاريخ منطقة مجهولة، وثالثاً لمناقشته قضية من القضايا التي تشغل العقل المعاصر الذي نجم فيه للإلحاد رونق.

إن الدافع لتحقيق هذا الكتاب –إضافة إلى كون المؤلِف جداً للمحققين– هو إظهار كنز علمي بقي مطموراً لقرون.

ترجمة المؤلف

نسبه:

هو أحمد بن علي بن أرباب بن علي بن عون بن عامر بن صبح بن فلاح بن شرف الدين بن محمد بن زايد بن محمد (محس).

ولد بجزيرة توتي عام ١٠١٧ هجري الموافق ١٦٠٨ ميلادي، في عهد سلطان الفونج رباط بن بادي. وشيخ العبدلاب محمد العقيل بن الشيخ عجيب المانجلك بن عبد الله جماع.[١] في مملكة سنار التي عرفت بدولة الفونج.[٢]

وقد اشتهر الشيخ أحمد بن علي بعدة ألقاب منها أرباب العقائد، نسبة لنبوغه في علم العقائد وتدريسه إياها وتأليفه كتابا فيها بلغت شهرته الآفاق هو الكتاب الذي بين أيدينا. ومنها أرباب الخشن، لخشونة جسمه من أثر الوضوء في الشتاء. كما اشتهر بأحمد العونابي، نسبة إلى فرع العوناب من قبيلة المحس وعون هو جد المؤلف الخامس.

وقبيلة المحس قبيلة معروفة في السودان، اشتهرت بتدريس القرآن وعلوم الدين، وتسكن على ضفاف النيل ويعمل أغلب أفرادها في الزراعة. وقد أنجبت عددا كبيرا من العلماء البارزين المشهورين في السودان قديما وحديثا.

والمحس على حسب روايتهم قبيلة خزرجية تنتسب في تسميتها إلى محمد الملقب مَحَسْ، والذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل حافظ القرآن أبي بن كعب البدري الأنصاري الخزرجي. فهو: محمد (محس) بن الملك سعد بن جامع بن حسن بن أحمد بن عامر بن عبد الكريم بن عبد الله بن يعقوب بن جابر بن سعد بن موسى بن أويس بن جامع بن سالم بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان بن محمد بن زيد بن عمارة بن حارثة بن عبادة بن أبي بن كعب. وقيل بل جد المؤلف أبي بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي وليس أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي.

موطنه:

موطن الشيخ أرباب العقائد هو جزيرة توتي التي تقع عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض، وهي اليوم وسط مدينة الخرطوم. وهي مأهولة منذ العام ٨٨٥هـ الموافق ١٤٨٠م، حيث سكنها أجداد الشيخ

---

(١) من منشور أعده الصديق بن الخليفة محمد مالك العقائد بمناسبة الاحتفال بإعادة اسم مسجد أرباب العقائد إليه.

(٢) مملكة سنار أو دولة الفونج (١٥٠٤-١٨٢١م) مملكة قامت ضمن حدود جمهورية السودان الحالية، وعاصمتها مدينة سنار التي تقع على النيل الأزرق جنوب شرق مدينة الخرطوم الحالية. وقد نشأت هذه المملكة بتحالف بين الفونج والعبدلاب وكانت تدار من قبل سلطان الفونج ومقره سنار وشيخ العبدلاب -الرجل الثاني في الدولة- ومقره الحلفاية شمال الخرطوم.

وعشيرته. وكانت لهم مكانة مرموقة في عهد دولة الفونج حتى أنهم كانوا معفيين من العشور، احتراما لمكانة علمائهم عند ملوك الفونج.[1]

شيوخه:

حفظ الشيخ القرآن وعمره عشر سنوات. وأخذ علم الفقه عن الشيخ الزين بن صغيرون. وأخذ علم العقائد من الفقيه علي بن برّي، خدمه فدعى له بقريحة صادقة فنفعه الله بعلمه، وجلس للتدريس بعد وفاته.

وأخذ الشيخ علي بن بري علم العقائد عن الشيخ حسين أبو شعر. قال أخوه الحاج إبراهيم بن بري: (حفظنا الكتاب على الشيخ باسبار، وقرأنا خليلا على الشيخ صغيرون، والعقائد على أبي شعر، وسلكنا الطريق على ولد داوود).

وقد أخذ الشيخ حسين أبو شعر علم العقائد عن الشيخ محمد بن عيسى بن صالح سوار الذهب الذي أخذه عن الشيخ التلمساني المغربي الذي قدم من المغرب (الجزائر الآن).[2]

شهرته وتلاميذه:

انتهى علم العقائد بالسودان إلى الشيخ أرباب العقائد بعد شيخه علي بن بري، وجلس للتدريس بعده، وبلغ صيته الآفاق، وضربت إليه أكباد الإبل، حتى بلغ عدد طلبته ألفا ونيفا من دار الفونج إلى دار برنو تلامذته وتلامذة تلامذته، وتلامذته هم شيوخ الإسلام منهم الحاج خوجلي أبو الجاز والفقيه حمد بن أم مريوم والفقيه حمد حتيك والفقيه هاورن بن أبي حصى، والشيخ فرح بن تكتوك، والقرشي الصليحابي، وخلائق لا يحصون من علماء السودان في عهد دولة الفونج.

مؤلفاته:

اشتهر للشيخ كتاب "الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان" وانتفع به الناس شرقا وغربا. وهو المؤلف الذي بين أيدينا.

خلوته بتوتي:

كان الشيخ أرباب العقائد يدرس العلوم الاسلامية في مسجد توتي العتيق، وكانت له خلوة قريبة من مكان المسجد، تقع في الحي المعروف الآن بحي "الملجَة"، وبها بئر كانت موجودة إلى عهد قريب. وفي عهد المهدية اتخذتها الدولة بيتا للأمانة، يحفظ فيها السلاح والعملة التي تسك في ورشة كانت موجودة بجزيرة توتي تمهيدا لنقلها إلى بيت الأمانة بأم درمان عبر المراكب. ويقوم مكان الخلوة الآن "مركز الشاووشاب" الذي يهتم فيما يهتم بالتعليم الديني.

---

(١) كتاب توتي، محمد السيد أرباب، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم السودان، ص٥٨.

(٢) طبقات ود ضيف الله.

انتقاله إلى بر الخرطوم:

يروى أن الفقيهين عبد الرحمن بن إبراهيم (والد الشيخ خوجلي أبي الجاز) وموسى (الضيق) بن سليمان، كانا زميلين للشيخ أرباب العقائد في الخلوة. وعند وفاة الفقيه عبد الرحمن تزوجت أرملته (ضوة بنت خوجلي المرزوقابية) من موسى الضيق. ولما كان أهل توتي يعتقدون لدرجة كبيرة في الفقيه عبد الرحمن فقد أدى هذا الزواج إلى اجتماعهم حول موسى، مما أشعر أرباب العقائد أن الجو لم يعد خاليا له في الاعتقاد والتدريس.[١]

ويروى أيضا أن مركبا تحمل عددا من الطلاب القاصدين لخلوة الشيخ أرباب العقائد في جزيرة توتي قد غرقت في النيل، مما دفع الشيخ أرباب العقائد إلى نقل خلوته إلى بر الخرطوم وكان وقتها غابة غير مأهولة.[٢]

خلوته بالخرطوم

وقد أسس الشيخ مدينة الخرطوم عندما أسس خلوته في مكانها الحالي، وقد كان غابة قبل ذلك قطع الشيخ شجرها وبنى خلوته، فعمرت بتلاميذه ومحبيه ببركة نور القرآن والعلم، وقد بنيت أولا من الخشب والقش، ثم بنيت باللبن.

ومكان هذه الخلوة الآن المسجد المعروف في وسط الخرطوم بمسجد أرباب العقائد أو مسجد الملك فاروق لأنه جدد مسجد الشيخ ببناء فاخر. وكانت دار الشيخ تقع جنوب المسجد الحالي وخلوة الطلاب تقع جنوب غرب المسجد[٣].

قصته مع الشيخ حمد:

قال الفقيه ابن ضيف الله في طبقاته: (أخبرني الشيخ زين العابدين قال: سألت الفقيه حمد ولد أم مريوم عن سبب الخلاف الذي بينه وبين شيخه أرباب العقائد. قال: كنت خادمه وملازمه. ذات يوم قلت له: يا سيدي هذا العلم الذي قرأناه مأمورون بامتثاله أم لا؟ قال: مأمورون. فقلت له: أمَا قال الشيخ خليل: (وكُرِه صلاة فاضل على بدعي أو مظهر كبيرة)؟ قال: نعم. قلت له: أما قال في تارك الصلاة: (وصلى عليه غير فاضل)؟ قال: نعم. قلت: لم تصلي عليهم؟! فترك ذلك وقتا، والناس ما هم رضيانين. قالوا له: الناس حيرانك وأقاربك تسمع كلام حمد المشاقق! فعاد كما كان. فرحلت منه ودخلت توتي).[٤]

---

(١) تاريخ مدينة الخرطوم. وقد ذكر المؤلف د.أحمد أحمد سيد أحمد أن الذي روى له هذه الرواية هو الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الضرير بعد أن أمهله فترة من الزمن حتى يناقش المعمرين والمثقفين في توتي في أسباب رحلة أرباب العقائد إلى الخرطوم.

(٢) كتاب توتي، محمد السيد أرباب، دار عزة للنشر والتوزيع، السودان- الخرطوم ٢٠١٣م، ص٥٩.

(٣) كتاب توتي، محمد السيد أرباب، دار عزة للنشر والتوزيع، السودان- الخرطوم ٢٠١٣م.

(٤) طبقات ود ضيف الله.

هجرته إلى سنار ووفاته:

في العام ١٦٨٩م الموافق ١١٠٠هـ خرج الشيخ أرباب العقائد من خلوته قاصداً سنار حيث طلبه ملك الفونج السطان بادي الأحمر بن أونسة لإصلاح حال القضاء بدولة الفونج، ضمن عدد من علماء الدولة، وخلفه ابنه الأكبر الفقيه بساطي على الخلوة.

ولما مر في طريقه بقرية البشاقرة نزل بها مدة قليلة فزوجه أهلها من بيت عز وشرف منهم: وقوما بنت الحاج علي بن وقيرم[١]. وقد استمر الشيخ في طريقه إلى سنار بعد أن تركها حاملاً بمحمد (راجل البشاقرة) أشهر علماء البشاقرة لاحقاً.

ثم إن الشيخ وصل إلى سنار وأقام بها سنتين ثم توفي بها سنة ١١٠٢ هجرية الموافق ١٦٩١ ميلادية، وقبره بها معروف، رحمه الله رحمة واسعة وشملنا فيها بفضله وكرمه ومنته.

أبناؤه:

للشيخ سبعة أبناء هم: بساطي وفرح وعلي وحسن وحسين ومدني ومحمد. وبنت واحدة هي ريّا.

خلافته في الخرطوم:

وأما خلافة الفقيه أحمد (أرباب العقائد) في الخرطوم فقد وليها بعده ابنه الفقيه بساطي ثم أخوه الفقيه فرح وقد كانا يدرّسان العقائد بعد أبيهما، وتميز في العقائد على جميع أقرانه بعدهما أرباب ولد فرح. ثم ولي الخلافة بعدهما أخوهما الفقيه علي (صالح أبي نجيلة)، ثم الفقيه الكامل بن الفقيه علي، ثم الفقيه محمد بن الفقيه الكامل، ثم الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمد. وهو آخر من ولي الخلافة في خلوة أرباب العقائد.

خراب الخلوة والمسجد:

لما وصل الدفتردار[٢] إلى الخرطوم ضمن حملته للتنكيل بأهل السودان انتقاما لمقتل اسماعيل بن محمد علي باشا. أمر عثمان بك الذي وصل إلى الخرطوم سنة ١٨٢٤م فهدم مسجد أرباب العقائد وقتل الفقيه أرباب بن الكامل بن الفقيه علي بن أرباب العقائد خليفة الخرطوم، حيث جيء بالشيخ وربط على فوهة المدفع، وأمر به فأطلق في الهواء وتناثرت جثته رحمه الله تعالى[٣]، الأمر الذي أدى إلى توقف سيل المريدين الذي كان ينصب على جامع وخلوة أرباب العقائد وقضى على سكنى هؤلاء إلى جانب الجامع، وهي التي كانت قد أعطت محل أرباب وحلة المقرن الشكل العمراني الذي كانا عليه قبل الحكم التركي للسودان.

---

(١) وقيل (مقوما بنت اقيرب). وهو ابن مهلل بن مبارك بن جكول بن حمد بن علي أبو أشقر (جد البشاقرة) من قبيلة رفاعة.

(٢) محمد بيه الاسطنبولي، كلفه محمد علي باشا حاكم مصر الانتقام لمقتل ابنه اسماعيل باشا الذي قتله الملك نمر ملك الجعليين – فعاث في البلاد فسادا وقتل الناس وتفنن في تعذيبهم بلا ذنب ولا جريرة.

(٣) Sudan Note العدد ١٨ لسنة ١٩٣٥ بعنوان قصة مدينة الخرطوم بقلم ويكلي.

ثم إن الحكمدار موسى حمدي باشا (١٨٦٢م-١٨٦٥) أعاد بناء وعمارة مسجد أرباب العقائد الذي ظل متداعي البنيان منذ هدمه الدفتردار، ليعود من المعالم البارزة في المدينة كما كان. ولتصبح الخلوة الملحقة به من أهم خلاوى الخرطوم في العهد التركي. إضافة إلى خلوة الفقيه علي بن إدريس[١] وهو محسي من جزيرة توتي. وخلوة (صباحي) وهو أحد الفتيحاب من سكان الخرطوم.[٢]

ثم لما دخل أنصار المهدي الخرطوم في العام ١٨٨٥م، قتلوا خليفة مسجد أرباب العقائد الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمد بن الفقيه الكامل وهو آخر خليفة للخلوة والمسجد، وخربت الخلوة التي كانت مبنية من الطوب الأحمر الجيد.

ثم في عهد الانجليز (١٨٩٩م-١٩٥٦م) أخذت من الخلوة مساحات وجعلت ملاهي للخمر والفسوق، وأخذ بعض طوبها وبنيت به بعض المباني المحيطة بها، غير أن المسجد بقي إلى أن أعاد الملك فاروق ملك مصر بناءه بناءا فاخرا مزخرفا استمر إلى يومنا هذا.

وقد كان خلفاء أرباب العقائد في خلوة الخرطوم يلقبون بلقب "خليفة الخرطوم".

خلافته في البشاقرة:

لما بلغ محمد (راجل البشاقرة) بن أحمد (أرباب العقائد) الصبا وجهه أهله إلى الخرطوم ليتعلم في منارة العلم التي خلفها أبوه، فدرس فيها العلوم الشرعية على أخويه الفقيه بساطي والفقيه فرح. وأيضا على الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن وكلهم تلاميذ أبيه، وعاد بعد ذلك إلى البشاقرة عالما فاض علمه وانتشر، وأقام بها الخلاوى وأصبحت له خلافة فيها معروفة إلى اليوم وليها بعده الفقيه إسماعيل بن الفقيه محمد ثم الفقيه بن راد الله ثم القاضي يس ثم الفقيه مالك ثم الفقيه محمد بن الفقيه مالك ثم الفقيه مصطفى بن سر الختم بن الفقيه مالك.

(١) هو الفقيه علي بن إدريس بن الفقيه عامر بن الفقيه موسى (الضيق) الغردقابي. وموسى (الضيق) زميل أرباب العقائد في الدراسة.
(٢) تاريخ مدينة الخرطوم.

مخطوطات الكتاب

إن لمخطوطات الكتاب الذي بين أيدينا انتشارا واسعا في عدة دول شملت القارات الثلاث: إفريقيا وآسيا وأوربا، وكلها تشير إلى المؤلف بعبارة "أرباب الخرطومي"، وبعضها يلقبه "بابا غودو".

وقد استأثرت مالي بثمانية نسخ من المخطوطة، توجد منها ستة بمدينة "تمبكتو" بمكتبة "ماما حيدرة" مفهرسة بالأرقام (٣٧٤٠-٣١٠٥-٣٢٣٩-٣٧٨٩-٣٥٢٩-٣٦٠٣) وقد كتبت منها نسختان بالخط الصحراوي واثنتان بالخط السوداني واثنتان بالخط السوقي. كما توجد فيها في "مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية" نسخة مفهرسة بالرقم (٤٩٨١ توحيد وعقائد) مكتوبة بالخط السوداني، وتوجد أيضا فيها في "بوجبيهة" بالمكتبة الزينية نسخة واحدة مفهرسة بالرقم (٤٠٧ عقائد) مكتوبة بالخط الصحراوي.

أما بوركينافاسو فتوجد بها ثلاث نسخ، اثنتان منهما موجودتان في "مجموعة أبوبلا" مفهرستان بالأرقام (AB٣٢ – AB٤٧) ومكتوبتان بالخط السوداني، كما توجد فيها نسخة في "مجموعة الحاج صحابي عليو" مفهرسة بالرقم (SA١٦) مكتوبة بالخط السوداني أيضا.

وتوجد في النيجر بمدينة "نيامي" نسخة في "معهد الابحاث في العلوم الإنسانية" مفهرسة بالرقم (٣٢٦٨ توحيد) ومكتوبة بالخط المغربي.

كما توجد في غانا ثلاث نسخ، توجد في "مجموعة يوسف عبد الرحمن" مفهرسة بالرقم (YA/٢٦)، وفي "مجموعة عمر بن بكر" مفهرسة بالرقم (UAB٠٠٠)، وفي "مجموعة نايا ليمان خاكيدو" مفهرسة بالرقم (NLK/٦٧)، وكل هذه النسخ مكتوبة بالخط السوداني.

كما توجد بألبانيا نسخة أصلية في مدينة "تيرانا" في "المكتبة الوطنية" مفهرسة بالرقم (٢٠٥ توحيد) ومكتوبة بالخط المغربي.

كل هذا الترقيم معتمد على فهرسة "مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي" – لمؤسسها الشيخ أحمد زكي يماني الأمين العام الأسبق لمنظمة أوبك. وعنوانها على الانترنت: (http://www.al-furqan.com).

كما توجد في فرنسا في "المكتبة الوطنية" بباريس خمس نسخ للمخطوطة، وفي مكتبة جامعة "يل" بأمريكا خمس نسخ أيضا. وسمعنا بوجود نسخ من المخطوطة في موريتانيا والحبشة وأندونيسيا. وكل هذا يدل على الانتشار الواسع لعلم المؤلف وشهرته التي بلغت آفاقا أرحب مما ذكره المؤرخون.

وقد اعتمد هذا التحقيق على ثلاث نسخ، اثنتان من فرنسا وواحدة من مالي "تمبكتو".

فأما نسختا فرنسا فصاحب الفضل في وصولهما وتداولهما بين المهتمين في السودان هو د.أحمد البدوي أحضرهما من المكتبة الوطنية بباريس، إحداهما مفهرسة بالرقم (٥٤٩٣ ARABE)، والأخرى

سقطت منها ورقة رقم الفهرسة. وأما نسخة مالي فهي موجودة على موقع "المكتبة الرقمية العالمية" وتشير إلى المؤلف بأنه "أرباب الخرطومي"، وقد ساهمت بها مكتبة "ماما حيدرة التذكارية" بتمبكتو.

نسخة باريس (أ)

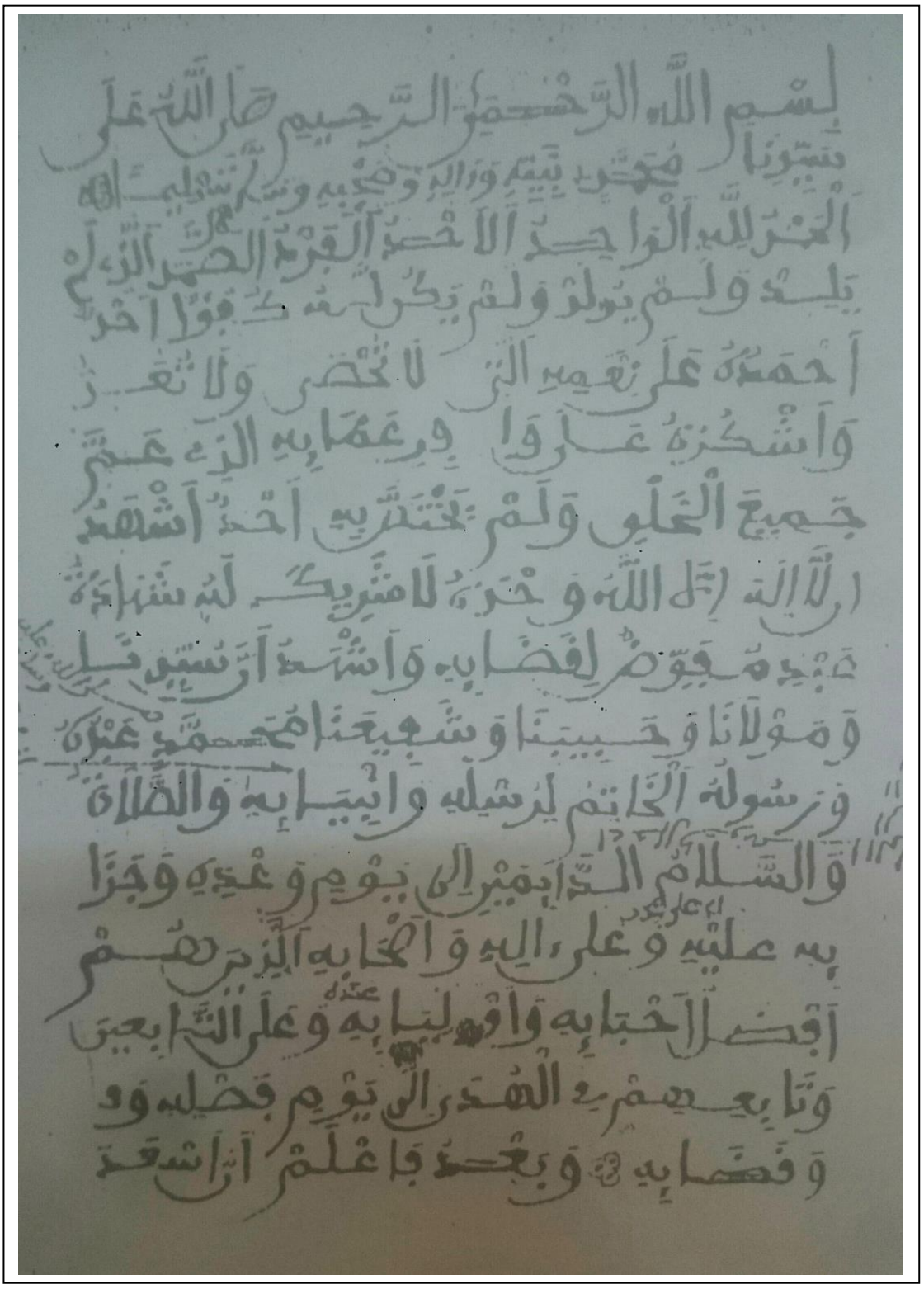

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على
سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
أحمده على نعمه التي لا تحصى ولا تعد
وأشكره عارفا بعطاياه التي عمت
جميع الخلق ولم تختص بها أحد أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد مفوض لقضائه وأشهد أن سيدنا ونبينا
ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبده
ورسوله الخاتم لرسله وأنبيائه والصلاة
والسلام الدائمين إلى يوم وعده وجزا
به عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم
أفضل أحبابه وأوليائه وعلى التابعين
وتابعيهم في الهدى إلى يوم فصله و
وقضائه وبعد فاعلم أن

نسخة باريس (ب)

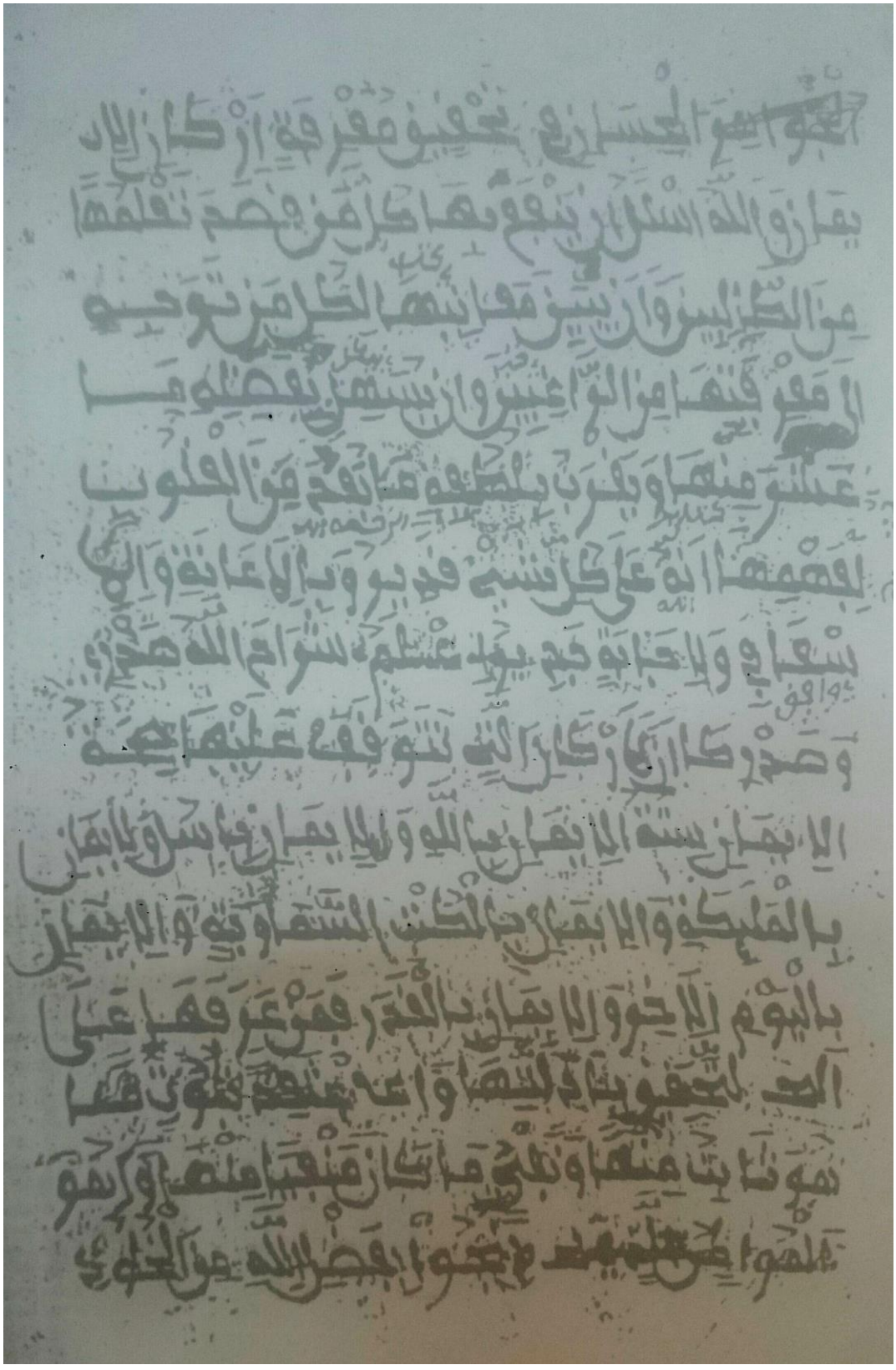

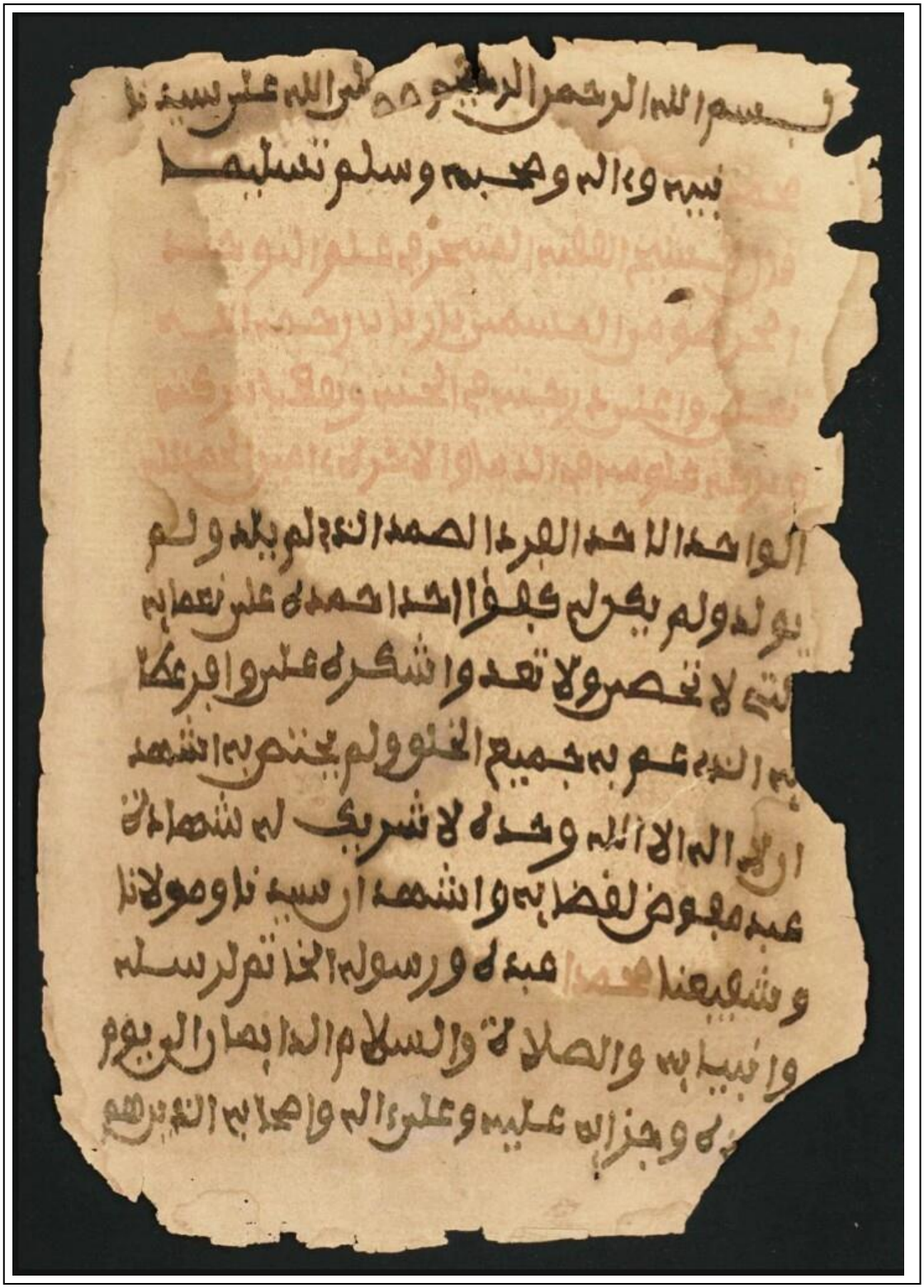
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد احمده على نعمائه
التي لا تحصر ولا تعد واشكره على وافر آلائه
التي عم بها جميع الخلق ولم يختص بها احدا
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد مفوض لقضائه واشهد ان سيدنا ومولانا
وشفيعنا محمدا عبده ورسوله الخاتم لرسله
وانبيائه والصلاة والسلام الدائمان الى يوم
الدين وجزاه عليه وعلى آله واصحابه الذين هم

الجواهر الحسان
في تحقيق معرفة أركان الإيمان

تأليف: أرباب العقائد

(١٠١٧- ١١٠٢هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً قال الشيخ الفقيه المتبحر في علم التوحيد الخرطومي المسمى بأرباب رحمه الله تعالى وأعلى درجته في الجنة ونفعنا ببركته وبركة علومه في الدنيا والآخرة. آمين:[1]

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أحمده على نعمائه[2] التي لا تحصى ولا تعد، وأشكره على وافر عطائه الذي عم جميع الخلق ولم يختص به أحد[3]، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد مفوض لقضائه، وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبده ورسوله الخاتم لرسله وأنبيائه، والصلاة والسلام الدائمان إلى يوم وعده وجزائه عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم أفضل أحبائه وأوليائه وعلى التابعين وتابعيهم في الهدى إلى يوم فصله وقضائه، وبعد:

فاعلم أن أسعد العباد من حقق معرفة ما أوجب الله عليه من مسائل الاعتقاد، وليس ذلك إلا بتحقيق معرفة أركان الإيمان[4] ليسلم بمعرفتها من آفات الخلود في دركات النيران، ويستوجب بذلك التنعم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من نعيم الجنان، فلما غلبت العجمة على القلوب وبعدت بذلك عن فهم ما هو المطلوب واستعسر عليها استخراج عقائد الإيمان من مصنفات الأئمة المختصرة والمطولات الحسان، استخرت الله في وضع عقيدة مختصرة استوفي فيها جميع ما يشترط في الإيمان من أركانه المعتبرة ليسهل فهمها على كل مبتدئ متحير، ويستفيد منها كل منتهي متبحر، ويفهمها كل جاهل وغافل، ويحررها كل لبيب عاقل، وسميتها: (الجواهر الحسان في تحقيق معرفة أركان الإيمان)، والله أسأل أن ينفع بها كل من قصد تعلمها من الطالبين، وأن يبين معانيها لكل من توجه إلى معرفتها من الراغبين، وأن يسهل بفضله ما عسر منها، ويقرب بلطفه ما بعد من القلوب لفهمها، انه على كل شيء قدير وبالإعانة والإسعاف والإجابة جدير.

---

(١) انفردت بها نسخة تمبكتو. والظاهر أنها من كتابة الناسخ لا المؤلف.

(٢) في الباريسيتين: نعمه.

(٣) في تمبكتو: سقطت كلمة أحد.

(٤) في تمبكتو: أركان الإيمان الستة. والأرجح أنها زائدة لافسادها المعنى.

[أركان الإيمان]

اعلم شرح الله صدري وصدرك أن الأركان التي تتوقف عليها صحة الإيمان ستة: الإيمان بالله والإيمان بالرسل والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب السماوية والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، فمن عرفها على التحقيق بأدلتها واعتقد ثبوت ما هو ثابت منها ونفى ما كان منفيا منها فهو المؤمن الذي ينجو[1] بفضل الله من الخلود في النار ويستوجب بذلك دخول الجنة ولو بعد نفوذ الوعيد، ومن جهل واحداً من هذه الأركان الستة كان كافرا مخلدا في النار وحرم عليه دخول الجنة أبد الآباد.

[الركن الأول: الإيمان بالله]

أما الإيمان بالله فحقيقته: هو معرفة ما يجب له تعالى واعتقاد ثبوته له ومعرفة ما يستحيل في حقه تعالى واعتقاد نفيه عنه، ومعرفة ما يجوز في حقه تعالى واعتقاد صحة وجوده وعدمه، وحقيقة الواجب العقلي: هو الذي لا يتصور في العقل عدمه بل لا يتصور إلا وجوده، وحقيقة المستحيل العقلي: هو الذي لا يتصور ثبوته في العقل بل لا يتصور إلا نفيه، وحقيقة الجائز العقلي: هو الذي يصح في العقل وجوده وعدمه بمعنى أنه لا يترتب على تقدير وجوده محال ولا على تقدير عدمه محال.

[الصفات الواجبة في حق الله تعالى]

أما الواجب لله الذي يتوقف صحة الإيمان على معرفته [فهو] عشرون صفة، وتنقسم هذه الصفات العشرون[2] أربعة أقسام نفسية وسلبية ومعانٍ ومعنوية، فالنفسية واحدة والسلبية خمسة والمعاني سبعة والمعنوية سبعة.

الأولى: الوجود، وحقيقته صفة دلت على استقرار الذات وثبوتها، ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، والمراد بواجب الوجود: هو الذي لم يسبقه العدم ولم يمكن لحوق العدم عليه، والوجود هو الصفة النفسية، وحقيقة الصفة النفسية: هي التي لا تعقل الذات بدونها.

وأما الخمسة السلبية:

فأولها: القدم، وحقيقته عبارة عن نفي العدم السابق على الوجود، بمعنى أن وجود الله لم يسبقه العدم.

وثانيها: البقاء، وحقيقته عبارة عن نفي العدم اللاحق على الوجود، بمعنى أن وجود الله لم يلحقه العدم، أي الفناء.

---

(١)وردت (ينجوا) في النسخ الثلاث والصواب بدون ألف.

(٢) كذا في المخطوطات، والصواب: العشرين.

وثالثها: المخالفة للحوادث، وحقيقتها عبارة عن نفي مشابهة الله تعالى للحوادث في الذات والصفات والأفعال، ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى مخالفة لذوات الحوادث بمعنى أن ذاته ليست بجرم ولا عرض، ولا في جهة الأجرام، ولا لها هي جهة، ولا مستقرة على الأماكن، ولا تمر عليها الأزمان، ولا توصف بالصغر أي قلة الأجزاء الفردية[1]، ولا بالكبر أي بكثرة الأجزاء الفردية، وصفاته تعالى مخالفة لصفات الحوادث فلا يوصف تعالى بالحركة ولا بالسكون ولا بالاجتماع ولا بالافتراق ولا بالبياض ولا بالسواد ولا بالحمرة ولا بالصفرة ولا بالخضرة ولا بالحب ولا بالبغض ولا بالفرح ولا بالحزن ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالمشي ولا بالجري ولا غير ذلك من صفات الحوادث، وأفعاله تعالى مخالفة لأفعال الحوادث، فلا يفعل تعالى لغرض ولا يحكم لغرض ولا يفعل بذاته وإنما يقول للشيء كن فيكون، (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**).

ورابعها: القيام بالنفس، وحقيقته[2] نفي الافتقار إلى المحل والمخصص ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى قائم بنفسه بمعنى أنه تعالى لا يحتاج إلى محل، أي ذات أخرى – غير ذاته العلية – يقوم بها، ولا يحتاج إلى مخصص إي فاعل يخصصه بالوجود دون العدم وبالمقدار المخصوص دون غيره وبالمكان المخصوص دون غيره وبالزمان المخصوص دون غيره وبالصفة المخصوصة دون غيرها وبالجهة المخصوصة دون غيرها.

وخامسها: الوحدانية، وحقيقتها نفي التعدد في الذات والصفات والأفعال، ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى واحد في ذاته أي لا تركيب فيها ولا مماثل لها، وواحد في صفاته أي لا تعدد فيها ولا نظير له فيها، وواحد في أفعاله أي لا شريك له فيها، فالتركيب في الذات هو الكم المتصل في الذات، والمماثل لها هو الكم المنفصل فيها، والتعدد في الصفات هو الكم المتصل في الصفات بأن يكون له قدرتان أو إرادتان أو علمان وإلى آخرها[3]، والنظير في الصفات هو الكم المنفصل فيها بأن يكون لأحد آخر صفات كصفات مولانا جل وعز[4]، والفرق بين الوحدانية والمخالفة أن الوحدانية نفي مشاركة الحوادث لمولانا في صفات الكمال، بل تخصص المولى سبحانه وتعالى وتوحد بصفات الكمال، والمخالفة نفي مشاركة المولى سبحانه للحوادث في صفات النقص، وهذا الفرق بيّن لمن سطع الله في قلبه شهاباً من نور المعرفة، لكن يعسر على كثير من الناس إدراكه قبل التنبيه عليه، وهذه آخر صفات السلبية. وحقيقة صفات السلبية هي كل صفة نفت أمرا لا يليق بالله مطابقته.

وأما السبعة المعاني:

---

(١) (الفردية) ساقطة من نسخة تمبكتو.

(٢) في تمبكتو: وحقيقته عبارة عن.

(٣) أي إلى آخر الصفات.

(٤) في تمبكتو عبارة زائدة في هذا الموضع هي: (واحد في أفعاله أي لا شريك له فيها هو الكم المنفصل في الأفعال).

فأولها: القدرة، وحقيقتها صفة قديمة موجودة واحدة قائمة بذاته تعالى يتمكن بها إيجاد كل ما أراد إيجاده من الممكنات وإعدام كل ما أراد إعدامه منها، فالذي يجب علينا أن نعتقد أن قدرة الله موجودة أي قائمة بذاته وواجبة أي قديمة وباقية وواحدة أي ليس له قدرتان ولا أكثر، وعامة التعلق بجميع الممكنات، فلا يخرج عنها ممكن ما سواه سواءً كان موجودا في الحال، أو سيوجد في المستقبل أو وجد وانقضى أو علم الله أنه لا يوجد أو كان عدما سابقا على وجود الممكنات أو لاحقا لها بعد وجودها، وهذا هو الأصح من مذهب أهل السنة، وهو الذي سلكه سيدي محمد السنوسي في جميع عقائده وهو الأحوط في البراءة.

وثانيها: الإرادة، وحقيقتها صفة موجودة قديمة واحدة قائمة بذاته تعالى يتمكن المولى بها من تخصيص كل ممكن بما جاز عليه من وجود أو عدم أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو صفة مخصوصة أو جهة مخصوصة أو مقدار مخصوص، فالذي يجب علينا اعتقاده فيها أن نعتقد أن إرادة الله موجودة أي قائمة بذاته، وواجبة أي قديمة وباقية، وواحدة أي ليس له إرادتان ولا أكثر، وأنها عامة التعلق بجميع الممكنات كالقدرة، لكن تعلق الإرادة تخصيصاً وتعلق القدرة إيجاداً وإعداماً[1].

وثالثها: العلم، وحقيقته صفة موجودة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل واجب ومستحيل وجائز انكشافا لا خفاء معه ولا شك ولا ظن ولا وهم، ومعنى ذلك أن نعتقد أن الله تعالى متصف بعلم موجود واجب وواحد، وعامّ التعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والجائزات. ومعنى تعلق علمه بالواجبات والجائزات على جهة التصور والتصديق، بمعنى أنه يعلم حقيقة الواجبات في حقه تعالى والجائزات، ويعلم أن الواجبات لا يتصور عدمها، والجائزات يصح وجودها وعدمها، وأما تعلق علمه بالمستحيل فعلى جهة التصديق فقط، بأن يعلم أنه لا يتصور وجوده إذ المستحيل لا حقيقة له حتى يتصور.

ورابعها: الحياة، وحقيقتها صفة موجودة قديمة واحدة قائمة بذاته تعالى، يصح لمن قامت به الوصف بصفات الإدراك كالعلم والسمع والبصر وصفات التأثير كالقدرة والإرادة، وصفات الدلالة كالكلام لأنها شرط في الجميع، والذي يجب علينا اعتقاده فيها أن نعتقد أنها صفة موجودة وواجبة وواحدة لا تعلق لها بأمر من الأمور لا واجبا ولا مستحيلا ولا جائزا؛ لأنها ليست من صفات التأثير ولا من صفات الكشف والإيضاح ولا من صفات الدلالة كالكلام.

وخامسها: السمع، وحقيقته صفة موجودة قديمة واحدة قائمة بذاته تعالى ينكشف له بها تعالى كل موجود واجبا كان كذاته تعالى وصفاته الوجودية، أو جائزا كذواتنا وصفاتنا الوجودية.

---

(١) وردت عبارات: (تخصيصا، إيجادا وإعداما) بالنصب في جميع المخطوطات.

وسادسها: البصر، وحقيقته صفة موجودة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى، ينكشف بها له تعالى كل موجود واجبا كان كذاته تعالى وصفاته الوجودية، أو جائزا كصفاتنا الوجودية، والذي يجب علينا اعتقاده في هاتين الصفتين: أن نعتقد أنهما موجودتان وواحدتان وواجبتان وعامتا التعلق بجميع الموجودات واجبة كانت أو جائزة، ولا يتعلقان بالمعدوم واجبا كان كالسلوب[1]، أو مستحيلا كان كالشريك والولد والنقص، أو جائزا كالممكنات المحبوسة في العدم، سواء علم الله تعالى وجودها أم لا؛ لأن حالة العدم لا تتفاوت بل هي على حد سواء في الجائز والمستحيل.

وسابعها: الكلام، وحقيقته صفة موجودة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى، ليس له حرف ولا صوت ولا تقديم ولا تأخير ولا تجديد ولا سكوت ولا لحن ولا إعراب ولا سر ولا جهر ولا بلسان ولا بشفتين ولا بلهات دلت على الواجب والمستحيل والجائز، ومعنى ذلك أن نعتقد أن الله تعالى متصف بكلام موجود واجب الوجود واحد منزه عن الحروف والصوت قديم قائم بذاته تعالى دال على الواجب والمستحيل والجائز، ومثال دلالته على الواجب قوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ)** فالأحدية واجبة له تعالى وكذلك الصمدية، ومثال دلالته على المستحيل قوله: **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** فالولد والوالد والكفؤ مستحيل، ومثال دلالته على الجائز قوله تعالى: **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)**، وقوله: **(مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**، **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا)**.. الآية، فالخلق والضلالة والهداية وإرسال الرسل من الجائزات.

وهذا آخر صفات المعاني، وسميت معاني لأن كل واحدة منها لها معنى زائد على الذات، وحقيقة صفات المعاني هي الصفات الوجودية، القائمة بالموجود، الموجبة له حكما، ومعنى الوجودية أن لها وجودا زائدا على الذات، ومعنى قيامها بالذات: تحقيق وجودها بها وملازمتها للذات وعدم انفكاكها عنها، ومعنى إيجابها الحكم: أنه يلزم من قيامها بالذات ثبوت أحكامها لتلك الذات والمراد بالأحكام وهي المعنوية، فيلزم من قيام المعاني بالذات ثبوت المعنوية لتلك الذات.

وأما السبعة المعنوية:

فأولها: كون الله تعالى قادرا، وحقيقة القادر هو المتمكن من الفعل والترك، ومعنى ذلك أن نعتقد أن الله موصوف بكونه قادرا بقدرة موجودة قديمة قائمة بذاته تعالى، بها كان قادرا لو انتفت تلك القدرة عن ذات الله لم يكن قادرا، فهي بمنزلة الآلة للصانع التي تتوقف عليها الصنعة فإن حصلت تلك الآلة تمكن الصانع من الصنعة وإلا لم تصح له الصنعة، ونعتقد أن وصفه بقادر قديم.

---

(١) أي السلبية.

وثانيها: مريدا، وحقيقة المريد هو الذي يرجح أحد طرفي الممكن على الطرف الآخر، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه مريدا بإرادة موجودة قديمة قائمة بذاته تعالى، بها كان مريدا، ووصفه بمريد قديم.

وثالثها: عالما، وحقيقة العالم هو الذي انكشف لعلمه الواجب والمستحيل والجائز، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه عالما بعلم موجود قديم قائم بذاته تعالى، به كان عالما، ووصفه بعالم قديم.

ورابعها: حيا، وحقيقة الحي هو الذي صح وصفه بصفات الإدراك، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه حيا بحياة موجودة قديمة قائمة بذاته تعالى، بها كان حيا، ووصفه بحي قديم.

وخامسها: سميعا، وحقيقة السمع هو الذي انكشف لسمعه كل موجود قديما كان أو حادثا، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه سميعا بسمع موجود قديم قائم بذاته تعالى، به كان سميعا، ووصفه بسميع قديم.

وسادسها: بصيرا، وحقيقة البصير: هو الذي انكشف لبصره كل موجود؛ قديما كان أو حادثا، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه بصيرا ببصر موجود قديم قائم بذاته تعالى به كان بصيرا، ووصفه ببصير قديم.

وسابعها: متكلما، وحقيقة المتكلم: هو الذي دل كلامه على الواجب والمستحيل والجائز، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بكونه متكلما بكلام موجود قديم قائم بذاته تعالى به كان متكلما، ووصفه بمتكلم قديم.

وسميت هذه الصفات السبعة معنوية لأنها منسوبة للمعاني؛ كقولك هذا رجل مصري أو شامي أي منسوب إلى مصر والشام، والفرق بينها وبين المعاني أن المعاني صفات وجودية تعقل في الذهن والخارج، ومعنى تعقّلها في الذهن: ثبوتها فيه، ومعنى تعقلها في الخارج: أن لها وجودا زائدا على الذات مع ملازمتها لها، والمعنوية صفات ثبوتية يثبتها العقل لمولانا جل وعز، وليس لها وجود في الخارج، وليس لها زيادة على الذات، بل أوصاف ثبتت للذات بقيام المعاني بها كقادر؛ فإنه وصف ثبت لذات الله تعالى عند قيام القدرة بها، وهو اسم ثبت للذات لأجل قيام المعاني بالذات، وهكذا إلى آخرها.

والمعنوية اسم ثبت للذات لأجل قيام المعاني بها، والمعاني صفات حقيقة، والله أعلم.

وهذا آخر الكلام على الصفات العشرين الواجبة لله تعالى التي يجب على المكلف معرفتها.

[الصفات المستحيلة في حق الله تعالى]

وأما المستحيلات في حقه تعالى التي يجب على المكلف معرفتها فعشرون أيضا، وهي أضداد العشرين الواجبات أي المنافيات لها:

فأولها: العدم، وحقيقته عبارة عن لا شيء، وهو ضد الوجود، فيجب علينا أن نعتقد أن العدم — وهو نفي الذات العلية — مستحيل على الله تعالى.

وثانيها: الحدوث، وحقيقته: هو الوجود بعد العدم، وهو ضد القدم، فيجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه الحدوث؛ بأن يكون أولا معدوما ثم وجد بعد ذلك.

وثالثها: طروء العدم، وحقيقته هو العدم اللاحق للوجود، وهو ضد البقاء، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه أن يلحقه الفناء بعد وجوده كسائر المخلوقات.

ورابعها: المماثلة للحوادث، وحقيقتها عبارة عن ثبوت المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال، فهي ضد المخالفة للحوادث، ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه أن يشابه الحوادث في ذاته؛ بأن يكون جرما، أو يكون عرضا، أو يكون في جهة للجرم، أو يكون له هو في نفسه جهة، أو يكون مستقرا على مكان، أو تمر عليه الأزمنة كما تمر علينا، أو يكون موصوفا بالصغر، أو يكون موصوفا بالكبر، أو يشابه الحوادث في صفاتها؛ بأن يكون موصوفا بالحركة أو السكون أو الاجتماع أو الافتراق أو البياض أو السواد، وغير ذلك مما تقدم، أو يشابه فعله فعل الحوادث؛ بأن يكون فعله أو حكمه لغرض أو مصلحة تعود عليه، أو يكون فعله بآلة كالقَدُّوم للنجار والقلم للكاتب والإبرة للخياط ونحو ذلك.

وخامسها: الاحتياج إلى المحل والمخصص، وهو ضد القيام بالنفس، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه نفي القيام بالنفس؛ بأن يكون مولانا جل وعز صفة تقوم بمحل أي بذات أخرى كما تقوم سائر الصفات بالذات، أو يكون حادثا يحتاج إلى مخصص؛ أي فاعل.

وسادسها: التعدد في الذات أو الصفات والأفعال، فهو ضد الوحدانية، ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله يستحيل عليه نفي الوحدانية في الذات؛ بأن يكون مركبا في ذاته، والتركيب هو اجتماع جزأين فأكثر، أو يكون في الوجود ذات أخرى تشبه ذات مولانا جل وعز في شيء من الكمالات، أو يكون مركبا في صفاته؛ بأن يكون له قدرتان أو إرادتان أو علمان أو غير ذلك، أو يكون لشيء من الموجودات صفة كصفات مولانا جل وعز؛ بأن يكون له قدرة يخرج بها الأشياء من العدم إلى الوجود، أو إرادة عامة التعلق بجميع الممكنات أو علم محيط بجميع الواجبات والمستحيلات والجائزات، أو يكون لشيء من الكائنات تأثير في شيء من الأشياء بتعليل ولا بطبيعة ولا باختيار، (**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**).. الآية.

وسابعها: العجز، وهو ضد القدرة، وحقيقته تعذر إيجاد ما يمكن إيجاده، أو تعذر إعدام ما يمكن إعدامه، ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه أن يكون أراد إيجاد شيء من الممكنات فتعذر عليه الإيجاد، أو أن يكون أراد إعدام شيء من الموجودات فتعذر عليه الإعدام، وأما تعذر إيجاد المستحيل أو تعذر إعدام الواجب فليس بعجز.

وثامنها: الإيجاد مع الكراهة أو مع الذهول أو الغفلة أو التعليل أو بالطبع فهذه الخمسة أضداد الإرادة، ومعنى ذلك أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه أن يكون أوجد بعض المخلوقات من غير إرادة أي: من غير اختيار منه، أو يكون أوجده مع كونه ناسيا له بعد علمه به، أو يكون أوجده مع كونه غافلا عنه، أو تكون ذاته العلية علة إيجاد الكائنات؛ بحيث يلزم من وجود ذاته وجود الأشياء من غير توقف على حصول شرط وانتفاء مانع، أو تكون ذاته العلية طبيعة في إيجاد الكائنات؛ بأن يلزم من وجود ذاته العلية وجود المخلوقات عند حصول شرط وانتفاء مانع.

وتاسعها: الجهل، وحقيقته عدم الإدراك لأمر من الأمور، فإن شعر به صاحبه فهو الجهل البسيط، وإن لم يشعر به صاحبه فهو الجهل المركب، فهو ضد العلم، ومعناه أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه الاتصاف بالجهل في الواجبات والمستحيلات والجائزات، ويستحيل عليه أيضا كل ما يؤدي إلي الجهل؛ كالشك والظن والوهم وكالنوم والذهول والغفلة، أو يكون علمه تعالى ضروريا أو نظريا أو بديهيا أو اعتقاديا أو تصوريا فقط أو تصديقيا فقط؛ بأن يعلم حكم الشيء دون حقيقته كعلمنا بالواجب في حقه تعالى كذاته وصفاته، فنعلم ذاته، وصفاته لا يُتصور عدمها، ولا نعلم حقيقة ذلك، فيستحيل أن يكون علم مولانا جل وعز هكذا بل يعلم حقيقة ذاته وصفاته تعالى، ويعلم أنه لا يتصور عدمها.

وعاشرها: الموت، وهو ضد الحياة، وحقيقته فقد الحياة بالكلية، بأن يكون المولى تبارك وتعالى جمادا لم تحل به حياة أصلا، أو يكون يموت في المستقبل، أو يكون حياته بروح أو بنفس أو بغذاء أو بمزاج[1].

وحادي عشرتها: الصمم، وهو ضد السمع، وحقيقته فقد السمع بالكلية؛ بأن يقوم به مانع موجود يمنع من السمع يسمى ذلك المانع الصمم، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه الاتصاف بالصمم وما أدى إليه[2]، أو يكون سمعه بأذن أو صماخ، أو يسمع لأصوات دون غيرها، أو يسمع الجهر دون السر.

وثاني عشرتها: العمى، وهو ضد البصر، وحقيقته فقد البصر بالكلية بأن يقوم به مانع موجود يمنع من البصر يسمى ذلك المانع العمى، ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه الاتصاف بالعمى وما أدى إليه؛ بأن يكون بصره بمقلة أو أجفان أو حدقة أو ببصر الأجسام وألوانها وأكوانها دون غيرها.

وثالث عشرتها: البكم، وهو ضد الكلام، وحقيقته فقد الكلام بالكلية؛ بأن تقوم بذاته العلية آفة موجودة تمنع من الكلام، وهذه الآفة هي البكم، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى يستحيل عليه الاتصاف بالبكم وما أدى إليه، كأن يكون كلامه بحروف أو أصوات أو تقديم أو تأخير أو تحديد

---

(١) في تمبكتو: (بمزاج هو الماء والثرى والنار والهواء وهذا هو تفسير المزاج). ولعلها إضافة من الشراح وليست من أصل الكتاب.
(٢) هذه الجملة سقطت من تمبكتو.

أو سكون أو لحن أو اعراب أو سر أو جهر أو بلسان أو بشفتين أو بلهاة أو غير ذلك من أنواع التغييرات.

ورابع عشرها: كونه تعالى عاجزا، وهو ضد كونه قادرا، وحقيقة العاجز: هو الذي أراد إيجاد شيء من الممكنات فتعذر عليه الإيجاد، أو أراد إعدام شيء من الممكنات فتعذر عليه الإعدام.

وخامس عشرها: كونه تعالى كارها لبعض المخلوقات، فهو ضد كونه مريدا، وحقيقة الكاره: هو الذي أوجد بعض المخلوقات من غير اختيار منه.

وسادس عشرها: كونه تعالى جاهلا، وحقيقة الجاهل: هو الذي خفي عليه شيء من الواجبات والمستحيلات والجائزات.

وسابع عشرها: كونه تعالى ميتا، وهو ضد كونه حيا، وحقيقة الميت: هو الذي لم يصح وصفه بصفات الإدراك.

وثامن عشرها: كونه تعالى أصم، وهو ضد كونه سميعا، وحقيقة الأصم: هو الذي غاب عن سمعه شيء من الموجودات.

وتاسع عشرها: كونه تعالى أعمى، فهو ضد كونه تعالى بصيرا، وحقيقة الأعمى: هو الذي غاب عن بصره شيء من الموجودات.

وتمام العشرين: كونه تعالى أبكم، وهو ضد كونه تعالى متكلما، وحقيقة الأبكم: هو الذي لم يمكنه الإخبار بكل ما علم.

وهذا آخر الكلام على العشرين المستحيلات.

[الصفات الجائزة في حق الله تعالى]

وأما الجائز في حقه تعالى فإخراج الممكنات من العدم إلى الوجود، وإعدامها بعد وجودها، وكذا بقاؤها في عدمها الأصلي، أو ترك إعدامها بعد أن أوجدها، ودخل في ذلك العلاج والإصلاح، وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والثواب للمطيع، والعقاب للعاصي، ووجود الجنة والنار، ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، وإن كانت ممنوعة في الدنيا شرعا، لقوله تعالى: **(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)**[1]، وإحياء الميت في قبره، وسؤاله ونعيمه وعذابه، والبعث لعين هذه الأبدان لا لمثلها، ووجود الصراط يوم القيامة، والميزان، والحساب، وإعطاء الكتب، والحوض، والشفاعة، وهذا كله بحسب النظر العقلي جائز يصح في العقل وجوده وعدمه، وأما بالنسبة للشرع فيجب اعتقاد وجود ما جاء الشرع بوجوده من هذه الأمور كلها.

---

(١) سقط الاستدلال بالآية من الباريسية (أ).

[حكم معرفة البرهان على صفات الله تعالى]

هذا آخر الكلام على العقائد الواجبة والمستحيلة والجائزة في حقه تعالى، فمن اعتقدها وجزم بها على التحقيق من غير ظن ولا وهم ولا ترديد، ولم يرجع من جزمه هذا ولو نشر بالمناشير، ولو فرض أن أهل الأرض على خلاف هذا لم يرجع عن اعتقاده، ولا دليل له على تلك العقائد إلا بمجرد السماع ممن يثق به من العلماء الصالحين، أو عامة المؤمنين لنشأته بينهم، فهو المقلد الذي وقع فيه الخلاف بين أهل السنة، والصحيح أنه مؤمن عاص بترك النظر إذا كان فيه أهلية لفهم النظر؛ وإلا فلا عصيان عليه، وذلك العصيان في كل زمان يمر عليه يمكنه فيه التعليم وفرط فيه واشتغل بغيره؛ سواء كان الذي اشتغل به من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة، إذ لا يجوز للمكلف أن يقدم على معرفة الله شيئا من الطاعات فضلا عن غيرها، وإذا عرفت حقيقة المقلد فلا بد من معرفة ما يخرج به المقلد من التقليد، ويكون به عارفا مرتفعا عن معرفة الترديد، خارجا عن الخلاف الذي قرره أئمة أهل التوحيد، ويكون على بصيرة في عقائده في هذه الدار، متبخترا غدا في رياض الجنة أي دار القرار، ويحوز به رتبة أهل العلم الداخلين في سلك قوله تعالى: (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**).. الآية، وهو الدليل الجملي، وحقيقته: هو الذي يحصل للمكلف العلم والطمأنينة بعقائد ايمانه بحيث لا يقول قلبه لا أدري فيها، ولا يشترط ترتيبه على ما يرتبه المتكلمون من تركيب وسائط، ولا دفع الشبهة الواردة عليه من أهل الضلال، ولا يشترط أيضا القدرة على التعبير عما حصل في القلب من الدليل الجملي، بل فهمه في القلب فقط هو المشروط، وأما العبارة به فهي علم زائد يهبها الله لمن أراد أن ينصبه داعيا إليه من عباده حتى يجعله رحمته عامة لعباده وبركة شاملة في بلاده، وسنذكر تلك الأدلة الجملية على ما ذكرناه من العقائد العشرين الواجبة والمستحيلة والجائزة على الترتيب السابق أولا فأولا فنقول:

أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم، والمراد بالحدوث التجديد بعد العدم، فكل من لم يكن ثم كان فهو الحادث، والعالم المراد به كل موجود سوى الله وصفاته الوجودية، ومعنى ذلك أن إخراج العالم من العدم إلى الوجود دليل على وجود الله؛ إذ لا يصح الإيجاد إلا من موجد، لأن من لم يكن موجودا في نفسه لم يصح أن يوجد غيره بالضرورة، فقد ثبت بهذا البرهان العقلي ثبوت الوجود له تعالى واستحالة العدم عليه وهو المطلوب.

[البرهان على صفات الله تعالى]

وبرهان وجوب القدم له تعالى أنه لو لم يكن قديما لكان حادثا لأن كل موجود إما أن يكون قديما أو يكون حادثا، فإذا كان حادثا لزم أن لا يوجد شيء من الحوادث لثبوت عجزه، لأن كل حادث عاجز حينئذ؛ لأنك لما حققت العجز من نفسك كذلك كل من ماثلك في الحدوث؛ لوجوب استواء

المثلين في كل ما يجب وما يستحيل وما يجوز، ونفي وجود الحوادث محال بالضرورة لمشاهدة وجودها، وما شوهد لا ينكر، فقد ثبت بهذا البرهان وجوب القدم له تعالى واستحالة الحدوث عليه وهو المطلوب.

وبرهان وجوب البقاء له تعالى أنه لو لم يكن واجب البقاء وأمكن لحوق العدم عليه لم يكن قديما لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وإذا لم يكن قديما ثبت له الحدوث؛ لانحصار كل موجود في العدم والحدوث، وإذا ثبت له الحدوث لم يوجد شيء من الحوادث لثبوت عجزه كما تقدم، ونفي الحوادث محال بالضرورة، فقد ثبت بهذا البرهان القطعي وجوب البقاء له تعالى واستحالة طروء العدم عليه، وهو المطلوب.

وأما برهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث أن الله سبحانه وتعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله، أو شابه شيئا منها في ذاته، أو شابهها في صفاته، أو شابهها في أفعاله، لكان حادثا مثلها، لوجوب استواء المثلين في كل ما يجب وما يستحيل وما يجوز، فقد ثبت للحوادث وأجرامها وأعراضها الحدوث واستحال عليها القدم؛ فلو ماثلها مولانا جل وعز لوجب له ما وجب لها من الحدوث وإلا استحال عليه ما استحال عليها من القدم وجاز عليه ما جاز عليها من الوجود والعدم، ولو كان مولانا جل وعز حادثا لكان عاجزا، لأن العجز وصف ضروري لكل حادث، ولو كان عاجزا لم يوجد شيء من الحوادث، ونفي الحوادث محال بالمشاهدة، فقد شهد بهذا البرهان الجملي بوجود مخالفته تعالى للحوادث، وهو المطلوب.

وأما برهان وجوب قيامه تعالى بنفسه الذي هو نفي الافتقار إلى المحل والمخصص، فلأنه لو افتقر إلى محل لكان صفة؛ إذ لا يفتقر إلى الذات إلا الصفات، ولو كان صفة لم يمكنه أن يوجد شيئا من الحوادث، إذ الصفة لا تكون إلها؛ لاستحالة وصفها بالمعاني والمعنوية، والإله يجب اتصافه بالمعاني والمعنوية، لأن وجود الحادث متوقف على اتصاف الفاعل بهما، ونفي الحوادث محال بالضرورة، فقد ثبت بهذا البرهان وجوب الغناء لمولانا جل وعز عن المحل، وهو أحد جزأين من القيام بالنفس، والجزء الثاني وهو الغناء عن المخصص فبرهانه أنه تعالى لو لم يكن غنيا عن المخصص وافتقر إليه؛ لكان حادثا، إذ لا يفتقر إلى المخصص – وهو الفاعل – إلا الحادث، لأن أثر الفاعل لا يكون إلا حادثا، لاستحالة القدم على المفعول لوجوب سبق الفاعل على المفعول المسبوق بغيره وهو الحادث؛ لأن الحدوث هو الوجود بعد العدم، ولو كان مولانا جل وعز حادثا لزم أن لا يوجد شيء من الحوادث لثبوت عجزه حينئذ، ونفي الحوادث محال، فقد ثبت بهذا التقدير وجوب قيامه تعالى بنفسه، واستحالة افتقاره إلى المحل والمخصص، وهو المطلوب.

وبرهان وجوب الوحدانية له تعالى في الذات والصفات والأفعال أنه سبحانه وتعالى لو لم يكن واحدا في ذاته وصفاته وأفعاله، وتعدد في ذاته اتصالا – بأن يكون مركبا من جوهرين فأكثر – وانفصالا – بأن يكون ثم ذات أخرى تشبه ذات مولانا جل وعز؛ أو تعدد في الصفات اتصالا – بأن يكون له

قدرتان أو ارادتان قائمتان بذاته تعالى مثلا – أو انفصالا بأن يكون لأحد آخر صفات كصفات مولانا جل وعز، أو كان معه شريك في الأفعال، لزم أن لا يوجد شيء من العالم، للزوم العجز له تعالى مع كل وجه من وجوه التعددات الخمسة، ونفي العالم محال لمشاهدته، فإذا استحال نفي العالم استحال ثبوت التعدد في كل وجه من الوجوه الخمسة، وإذا استحال ثبوت التعدد ونفي الوحدانية عنه تعالى في الذات والصفات والأفعال؛ وجبت الوحدانية لله في الذات والصفات والأفعال، وهو المطلوب، فقد ثبت بهذا البرهان القطعي الجملي القريب إدراك كل عاقل وجوب الوحدانية لمولانا جل وعز في الذات والصفات والأفعال، ولا يلزم المكلف أكثر من هذا الذي ذكرناه، بل فهمه في القلب فقط دون القدرة عن التعبير عنه باللسان هو الواجب المعين، وما زاد على هذا التركيب من بيان لزوم العجز على كل وجه من وجوه التعدد فرض كفاية، إذا قام به واحد في البلد أجزأ عن غيره في ذلك البلد، ولهذا أضربنا عنه لأن قصدنا في هذا التأليف ذكر ما هو فرض عين على كل مكلف، وهو قدر ما يخرج به المكلف عن التقليد، وهذا القدر كاف وبالله والتوفيق، والله أعلم.

وبرهان وجوب القدرة له تعالى والإرادة والعلم والحياة وكونه تعالى قادرا مريدا وعالما وحيا لأن الله تعالى لو لم يجب له هذه الصفات الثمانية — الأربعة المعاني والأربعة المعنوية — ولو انتفت واحدة منها؛ لم يمكن أن يوجد شيئا من الحوادث، لأن وجود الحوادث كلها متوقف على اتصاف الباري بها، وبيان ذلك أن إبراز الحوادث من العدم إلى الوجود متوقف على القدرة؛ وهي المؤثرة في الإيجاد والإعدام، فلو لم يتصف بها لما تمكن من الإيجاد والإعدام وتخصيص تلك الحوادث بما اختصت به من الوجود دون العدم، والمكان المخصوص دون سائر الأمكنة، والزمان المخصص دون سائر الأزمنة، والجهة المخصوصة دون سائر الجهات، والصفة المخصوصة دون سائر الصفات، والمقدار المخصوص دون سائر المقادير لا يكون إلا بإرادة إذ هي الصفة التي يتأثر بها التخصيص دون غيرها من سائر الصفات، فلو انتفت الإرادة لانتفى التخصيص، ولا يتصور الإيجاد بدون التخصيص، لأن تأثير القدرة تابع له، فإذا انتفى التخصيص انتفى الإيجاد، ونفي الإيجاد محال، وإحكام تلك المصنوعات وإتقانها متوقف على علم الصانع بها، إذ لو لم يكن عالما بها لما برزت تلك الصنعة متقنة، إذ الجاهل بالشيء لا يصلحه ولا يتقنه بل يتلفه، فدل ذلك الإصلاح للصنعة على علم الصانع دلالة قطعية عقلية، وأيضا فتأثير الإرادة الذي هو التخصيص تابع للعلم؛ إذ التخصيص هو القصد إلى الشيء، والقصد إلى ما يجهل محال، وقد علم من هذا أن الإرادة متوقفة على العلم، فإذا انتفى العلم انتفت الإرادة، ونفي الإرادة يلزم عليه نفي الإيجاد كما تقدم، ونفي الإيجاد محال، وهذه الصفات الثلاثة، أعني القدرة والإرادة والعلم متوقفة على الحياة؛ إذ هي شرط في جميع صفات المعاني، فيلزم من عدمها عدم صفات المعاني، وهذه الثلاثة منها، وهي صفات التأثير، فلو انعدمت الحياة انعدمت هذه الثلاثة، ونفي هذه الثلاثة يلزم منه نفي العالم كما تقدم، ونفي العالم محال لمشاهدته، فإذا استحال نفي العالم استحال نفي شيء من هذه الصفات، فقد ثبت بهذا البرهان

العقلي ثبوت هذه الصفات الأربعة لمولانا جل وعز، ويلزم من ثبوتها ثبوت لوازمها المعنوية؛ لاستحالة ثبوت اللازم بدون ملزومه، وإنما جمعنا هذه الصفات الثمانية في برهان واحد لاتحاد اللازم فيها، إذ يلزم على نفي كل واحدة منها نفي العالم كما علمته آنفا، وبالله التوفيق.

وبرهان وجوب السمع له تعالى والبصر والكلام وكونه تعلى سميعا وبصيرا ومتكلما: الكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب قوله تعالى في السمع والبصر: **(وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** وقوله تعالى: **(إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)** وبالنسبة للكلام قوله تعالى: **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** وقوله تعالى: **(يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي)**، والسنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالناس يستسقون ويدعون الله جهرا فقال: (أيها الناس ارفقوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا أعمى ولا أبكم وإنما تدعون من هو سميع بصير متكلم)[1] والإجماع المراد به اتفاق السلف الصالح قبل ظهور البدع على أن الله تعالى سميع بصير متكلم، فإذا استدل المكلف بأحد هذه الثلاثة على العقائد الستة كفاه، وبرئت ذمته أيضا من الإثم، وارتفع على رتبة التقليد، وانتظم في سلك أهل التوحيد، هذا دليل من جهة النقل وهو أقوى من دليل العقل، وله أن يستدل عليها بالدليل العقلي وتبرأ به ذمته أيضا، وتركيبه أن تقول فيه: أن الله لو لم يتصف بهذه الصفات الستة وهي السمع والبصر والكلام وكونه تعالى سميعا و بصيرا و متكلما لزم أن يتصف بأضدادها من الصمم والعمى والبكم، وكونه أصم وأعمى وأبكم؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه أو عن مثله أو عن ضده؛ لكن اتصافه تعالى بالصمم والعمى والبكم وكونه أصم وأعمى وأبكم محال؛ لأنها النقائص، واتصافه تعالى بالنقص محال، لأنه تعالى لو اتصف بالنقص لزم أن يفتقر إلى من يدفع عنه النقائص ويخلو له الكمال، وافتقاره إما ثبت في الشاهد لأن كل ناقص لا بد له من أحد يزيل عنه النقص ويخلو له الكمال، وافتقاره تعالى إلى ذلك محال، لأنه لو افتقر إلى ذلك لثبت له الحدوث، لأن الافتقار وصف ضروري لكل حادث، وحدوثه تعالى يؤدي إلى عجزه، وعجزه تعالى يؤدي إلى نفي العالم، لأن العاجز لا يمكنه إيجاد العالم، ونفي العالم محال كما تقدم، فما أدى إلى هذا المحال من نفي هذه الصفات الستة عن مولانا جل وعز يجب أن يكون محالا، فحينئذ يجب اتصافه بهذه الصفات الستة، وهو المطلوب، فقد ثبت بهذين البرهانين القطعيين – النقل والعقل — وجوب هذه الصفات لمولانا جل وعز. فقد تمت هنا البراهين الواجبة والمستحيلة في حق مولانا جل وعز.

وأما برهان الجائز في حقه تعالى الذي هو فعل الممكنات أو تركها: فإن الله تعالى لو لم يكن الفعل والترك جائزا في حقه تعالى، ووجب عليه فعل شيء واحد منها كالثواب مثلا؛ لانقلب الفعل كله واجبا ومستحيلا لا يتصور في العقل تركه؛ لأنه لا فرق بين ممكن وممكن، ما سرى لهذا من الوجوب يسري لغيره، وانقلاب الفعل كله واجبا محال، لما يلزم عليه من جمع بين النقيضين، وهو كون الشيء الواحد

(١) رواه البخاري، من غير لفظ: (متكلم).

يصح ولا يصح، وذلك محال، لأنه بالنظر إلى كونه جائزا يصح عدمه، وبالنظر إلى كونه واجبا لا يصح عدمه، وكون الشيء الواحد يصح عدمه لا يصح عدمه جمع بين النقيضين بلا شك، وهو محال بالضرورة، والله أعلم، وكذا لو استحال عليه تعالى فعل شيء منها عقلا كالكفر مثلا لانقلب الفعل كله مستحيلا، لأنه لا فرق بين ممكن وممكن، ما سرى لهذا من الاستحالة يسري لغيره، وانقلاب الممكنات كلها مستحيلة محال لأنه خلاف المشاهدة، لأن الممكنات قد شوهد وجودها، فلو كان مستحيلا لما وجد، لأن حقيقة المستحيل هو الذي لا يتصور وجوده، وقد ثبت بهذا البرهان القطعي جواز فعل الممكنات وتركها، ونفي وجوبها واستحالتها، والله أعلم، وبالله التوفيق.

وقد انتهى الكلام على الركن الأول من أركان الإيمان الستة وهو الإيمان بالله، فمن عرفها على التحقيق ببراهينه المذكورة فيه، واعتقد ثبوت هذه الواجبات لمولانا جل وعز، واعتقد نفي ما يقابلها من المستحيلات عن الله تعالى، واعتقد صحة وجود هذه الجائزات وعدمها بالنسبة إليه تعالى؛ فقد حقق الإيمان بالله تعالى جل وعز.

[الركن الثاني: الإيمان بالرسل]

وأما الركن الثاني من أركان الإيمان الستة وهو الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فينقسم على قسمين: الأول إيمان بوجودهم، والثاني الإيمان بأحكامهم.

فأما الإيمان بوجودهم فلا بد فيه من معرفة حقيقة النبوة وحقيقة النبي وحقيقة الرسول وحقيقة الرسالة ومعرفة شروط النبوة، والإيمان بوجودهم متوقف على معرفة هذه الحقائق، فلا يصح لأحد الإيمان بهم حتى يعرفها؛ لأنه لا يجوز لأحد من المكلفين أن يجزم بنبوة أحد من النبيين حتى يعرف حقيقته، لقوله تعالى: **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)**[1]، وأما حقيقة النبوة فهي الاختصاص بسماع وحي من الله تعالى بواسطة ملك أو بدونه، فمن ادعى النبوة بغير وحي من الله فهو كافر، وهذا هو المتنبئ، أي المدعي النبوة بغير وحي من الله تعالى، كمسيلمة الكذاب لعنه الله، وهذا هو الفرق بين النبي والمتنبئ؛ أن النبي هو الذي أوحى الله إليه بالأحكام، سواء أمر بالتبليغ أو لا، والمتنبئ هو من ادعى النبوة بلا وحي، وأما حقيقة النبي: هو إنسان حر ذكر عاقل أختص بسماع وحي من الله بواسطة ملك أو بدونه؛ كموسى بن عمران ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام، وحقيقة الرسالة هي الأمر بتبليغ الوحي للعباد، وحقيقة الرسول: هو إنسان حر ذكر عاقل فطين أمر بتبليغ ذلك الوحي للعباد.

وأما شروط النبوة فأربعة:

الأول كونه من البشر أو من بني آدم لا من الملائكة ولا من الجن، لأن الصورة البشرية لا تطيق مقابلة صورة الملائكة ولا صورة الجنية لضعف البنية البشرية عن مناظرة تلك الصورة، لقوله تعالى: **(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا)**[2] وهذا دليل قطعي على أن الرسول من البشر، وقوله تعالى: **(إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا)**[3] وقوله تعالى: **(فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا)**[4].. الآية، وقوله تعالى: **(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)**[5]، والآي في ذلك كثيرة، واختلف في الجن هل يرسل إليهم جنا أو يرسل البشر رسولا إليهم؛ وهذا الثاني هو الصحيح، وهذا الخلاف فيما عدا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأما هو فالإجماع على عموم رسالته إلى الثقلين، والله أعلم.

والشرط الثاني الذكورية، فالأنثى لا تكون نبية لأنها تكون مشغولة بحقوق الزوج والنبي لا يكون مشغولا إلا بحقوق الله، ولأن النساء ناقصات عقل ودين والنبي يكون أعقل أهل زمانه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.
(٢) سورة الإسراء، الآيات ٩٤-٩٥.
(٣) سورة إبراهيم، الآية ١٠.
(٤) سورة التغابن، الآية ٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

والشرط الثالث الحرية، فالعبد المملوك ومن فيه شائبة الحرية لا يكون نبيا لأن أصله حرائر الكفر والأنبياء منزهون عن ذلك، وأيضا العبد مطالب بحقوق السيد والنبي لا يكون مطالبا إلا بحقوق الله، وأمور أخرى في الرقبة تنافي النبوة لا نطيل بذكرها.

والشرط الرابع: العقل، فالمجنون لا يكون نبيا لمنافاة الجنون لشؤون النبوة.

ويزاد في الرسول شرط خامس وهو الفطان، والفطانة بمعنى التفطن والتيقظ لانتزاع الخصوم واحجاجهم وطرق ابطال دعاويهم الباطلة[1]، فالمغفل لا يكون رسولا لأن المغفل لا يمكنه تفقد أحوال العباد وتفقد أموالهم وتفقد عوائدهم وتفقد أعمالهم وتفقد مصالحهم فضلا عن تفقد ما أمروا بتبليغه على التفصيل والإجمال للخاص والعام، والرسول مطالب بذلك كله.

واختلف في الشرط السادس وهو البلوغ، فمن العلماء من قال به، ومنهم من أباه، والخلاف في الوقوع، أي هل وقع رسول صبي أم لا، وأما الجواز فجائز باتفاق.

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الإيمان بوجودهم واجب شرط في صحة الإيمان ومعنى ذلك أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن كل ما علم الله من نبي فهو حق، فكل من ورد منهم مذكورا باسمه في الكتاب حتى اشتهر اسمه واتضح أمره وجب الإيمان به تفصيلا كآدم وشيث وإدريس ونوح وهود وإبراهيم ولوط وصالح وشعيب وموسى وهارون وإسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف وداؤود وسليمان وزكرياء ويحيى وأيوب ويونس وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن لم يشتهر اسمه ولا اتضح أمره وجب الإيمان به إجمالا ولا يلزم معرفة عددهم لأنه غير معلوم على الصحيح؛ بل اختص الله بعلمه، لقوله تعالى: (**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**)[2]، ويجب أيضا اعتقاد أن أولهم آدم عليه السلام وآخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[صفات الرسل الواجبة والمستحيلة والجائزة]

وأما القسم الثاني وهو الإيمان بأحكامهم، فهو معرفة ما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز، فنقول فيه:

الذي يجب في حقهم ثلاثة كمالات:

الأول: الصدق، وحقيقته مطابقة الخبر لما في نفس الأمر، أي موافقة قول الرسول للذي أرسله به مرسله سواء وافق الاعتقاد أم لا، ومعناه أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الصدق واجب للرسل، فلا يتصور نفيه عنهم، وإذا وجب لهم الصدق وجب علينا أن نعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام

(١) سقطت الجملة من الباريسية (أ).
(٢) سورة غافر، الآية ٧٨.

صادقون في دعوائهم الرسالة، وفيما بلغوه بعد ذلك، أي في قولهم: نحن رسل الله صادقون، وفيما بلغوه بعد ذلك للخلق ولم يكذبوا فيه حرفا واحدا.

والثاني: الأمانة، وحقيقتها حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من الوقوع في محرم أو مكروه، ومعناها أن نعتقد أن الأمانة واجبة للرسل عليهم الصلاة والسلام بحيث لا يتصور نفيها عنهم، وإذا وجبت لهم الأمانة وجب علينا أن نعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام حفظوا جوارحهم الظاهرة – كاليدين والرجلين والعينين والأذنين واللسان والبطن والفرج – والباطنة كقلوبهم ولم يلبسوا بمحرم ولا مكروه، لا عمدا ولا سهوا، لا قبل النبوة ولا بعدها، من حين خلقهم الله تعالى إلى انتقالهم إلى دار كرامته، فهذا هو الحق الذي لا غبارة عليه، فشد يدك عليه وابغض كل ما يخالفه، وبالله التوفيق.

والثالث: التبليغ، وحقيقته عبارة عن وفائهم بجميع ما أمر الله بتبليغه للخلق، ومعناه أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن التبليغ واجب للرسل، بمعنى أنه لا يتصور نفيه عنهم، وإذا وجب لهم التبليغ وجب علينا أن نعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام بلغوا جميع ما أمر الله بإبلاغه للخلق، بمعنى أنهم وصّلوا جميع ما أمرهم الله بإيصاله للخلق ولم يكتموا منه حرفا واحدا، لا عمدا ولا سهوا.

ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أضداد هذه الصفات الكمالات الثلاثة، التي هي الصدق والأمانة والتبليغ.

فضد الصدق الكذب، وحقيقته عدم مطابقة الخبر لما في نفس الأمر، بأن يكون قول الرسول مخالفا للذي أرسله به مرسله، سواء خالف الاعتقاد أو وافقه، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الكذب مستحيل على الرسل، بمعنى أنه لا يتصور وقوعه منهم لا عمدا ولا سهوا، لا قبل النبوة ولا بعدها.

وضد الأمانة الخيانة، وحقيقتها عدم حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من محرم ولا مكروه، ومعناه: يجب علينا أن نعتقد أن الخيانة مستحيلة على الرسول بحيث لا يتصور منهم وقوع محرم ومكروه، لا عمدا ولا سهوا، لا قبل النبوة ولا بعدها.

وضد التبليغ الكتمان، وحقيقته عدم وفائهم بجميع ما أمروا بتبليغه للخلق، ومعناه أنه يجب علينا أن نعتقد أن الكتمان مستحيل على الرسل، بمعنى أنه لا يتصور وقوعه منهم، عمدا أو سهوا.

ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بكل صفة بشرية، أي يوصف بها البشر لا نقص فيها عند الله ولا تخل برسالتهم ولا تنفر منها الأنفس ولا تكون عيبا عند الناس ولا تحط قدرهم الشريف في العادة الجارية في زمانهم كالمرض الخفيف الذي يحل بظواهرهم دون بواطنهم غير المزمن وغير الذي تعافه الأنفس، ومثل المرض الخفيف في الجواز البيع والشراء والنكاح والإجارة والجرح والقتل والأكل والشرب ونحو ذلك.

وأما الأعراض التي تنقصهم كالمحرمات والمكروهات فقد تقدم استحالتها، وأما التي تخل برسالتهم كالجنون بجميع أنواعه والسكر فلا تجوز عليهم، وكذا التي تنفر منها الأنفس كالجزام والبرص، وكذا

الصفات البشرية التي فيها عيب عند الناس كداء الفرج من الجب والخصاء والعنة والاعتراض، وكذا الصفات التي تحط قدرهم عند الناس في العادة كسواد الجسم ودناءة الصنعة كالدباغة وشبهها فإن هذه كلها مستحيلة عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك الصفات المخلة بكمال التبليغ كالعمى والصمم والبكم واللكن وكسر[1] الثنايا والعَوَر وشبهها، كل ذلك لا يجوز عليهم، وبالله التوفيق.

وهذا آخر ما يتعلق بالعقائد الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

[الأدلة العقلية على صفات الرسل]

ولا بد من ذكر أدلة تلك العقائد الجملية ليحصل بها تمام هذا الركن فنقول:

أما برهان وجوب صدق الرسل واستحالة الكذب عليهم، فلأنهم لو لم يجب لهم الصدق ولم يستحل عليهم الكذب وكذبوا في شيء للزم أن يكون المولى كاذبا لأنه قد صدقهم بخلقه المعجزات لهم على وفق دعواهم وتصديق الكاذب كذب، لكن الكذب على الله تعالى محال لأن خبره تعالى موافق لعلمه، والخبر الموافق للعلم كله صدق، لأن الكاذب هو المتكلم بالجهل من غير علم، أو بكلام يخالف علمه، وكلا الأمرين محال في حقه تعالى، فيكون الكذب في حقه تعالى محالاً، وما أدى إلى هذا المحال من الكذب في حق الرسل يجب أن يكون محالا، فقد ثبت بهذا البرهان القطعي وجوب الصدق للرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو المطلوب.

وحقيقة المعجزة التي صدق الله بها الرسل وأثبت بها لهم الرسالة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة موافقة للدعوى على يد مدعي الرسالة، واحترز بقوله خارق للعادة مما ليس بخارق للعادة بل موافق للعادة كطلوع الشمس من مطلعها وغروبها من مغربها فإنه لا يكون معجزة، لأنه يستوي فيه الصادق والكاذب، ومعنى قوله مقرون بالتحدي أي مقرون بالطلب أي طلب الرسول لها من الله دليلا على صدقه في دعواه عند تكذيب المنكرين له، فلا تقع المعجزة بغير طلبه، واحترز بذلك من العلامات الإرهاصية، وهي الخوارق التي تحصل للأنبياء قبل إنزال الوحي تأسيسا لهم على حمل أعباء الرسالة النبوية، والكرامات وهي الخوارق التي تحصل لأولياء الله تعالى ترغيبا لهم في زيادة طاعتهم وأورادهم ورياضتهم، فهذان النوعان يحصلان بطلب وبغير طلب، بخلاف المعجزة فإنها لا تحصل إلا بطلب لأنها شهادة، والشهادة لا تكون قبل الدعوى، إذ وقوع الشهادة قبل الدعوى لا يلتفت إليه، وربما بطلت برفعها قبل الطلب، ومعنى قوله: سالم من المعارضة أي معارضة غير نبي، وأما من نبي آخر فلا، ومعنى سلامتها من المعارضة أن غير الأنبياء لا يقدر أن يأتي بمثل ما أوتي هذا النبي، إذ المعجزة ما سميت معجزة إلا لعجز البشر غير الأنبياء عنها، لأنها محض خلق الله، لا سبب لأحد فيها، ولا حيلة له فيها

(١) في تمبكتو: كفرة، وفي الباريسية (أ): كشر.

ولا قدرة له عليها، ومعنى قوله: موافق للدعوى أي للدعوى التي بها كان يقول: آياتي انشقاق القمر فينشق القمر، وانفلاق البحر فينشق البحر، وانفجار الماء من الحجر فينفجر الماء من الحجر، أما لو خالف الدعوى فيقول: آيتي انشقاق القمر فينفلق البحر، وانفجار الماء من الحجر فتنقلب العصا حية، فلا يكون معجزة، وكذا لو قال آيتي أن ينطق هذا الحجر فينطق بأنه مفتر كذاب[فليس بمعجزة باتفاق، وكذا لو قال آيتي أن ينطق هذا الميت فينطق بأنه مفترٍ كذاب][1]، فقد اختلف فيه فمنهم من قال: تحصل المعجزة بنطقه، وأما قوله مفتر كذاب فلا يعتبر لأنه قد يكون كافرا، أو الناطق شيطان فتنة للأحياء، ومنهم من قال: لا يكون معجزة لأنه غير موافق للدعوى، وقد صححوا الأول، وهذا الخلاف فيمن يتصور فيه الكفر في حياته، وأما ما لا يتصور فيه الكفر كالجمادات فيعتبر تصديقه وتكذيبه من غير خلاف، وأما قوله على يد من يدعي الرسالة فمعناه أن ذلك الأمر الخارق حصل للمدعي الرسالة الذي هو بين أيدينا، واحترز بذلك من أن يتخذ الكذاب معجزة الأنبياء السابقين معجزة له ولم يحصّل هو شيئاً، فهذا لا يكون معجزة، ويكون صاحبها مفتريا كذابا، والله الموفق للصواب.

وأما برهان وجوب الأمانة للرسل عليهم الصلاة والسلام فنقول فيه: أنهم لو لم تجب لهم الأمانة وخانوا بأن فعلوا محرما كالزنا وشرب الخمر مثلا أو فعلوا مكروها كصيد اللهو مثلا لكنا مأمورين بهذا المحرم الذي فعلوه وهذا المكروه الذي فعلوه لأن الله تعالى أمرنا باتباع الرسل في جميع أقوالهم وأفعالهم وهم قد فعلوا هذا المحرم وهذا المكروه فنكون مأمورين به. وكوننا مأمورين بالمحرم والمكروه لا يصح شرعاً، ولو كنا مأمورين بالمحرم والمكروه لانقلب المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه، لقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**)[2].. الآية، وانقلاب المحرم والمكروه طاعة باطل لأنه من باب اجتماع النقيضين، وهما الأمر والنهي، لأنه بالنظر إلى وقوع المحرم والمكروه من الرسل مأمور به، وبالنظر إلى كونه محرما أو مكروها منهي عنه، وكون الشيء الواحد مأمورا به ومنهيا عنه جمع بين النقيضين لا محالة، فإذا استحال انقلاب المحرم والمكروه طاعة استحال كوننا مأمورين بالمحرم أو المكروه، وإذا استحال ذلك استحال وقوع المحرم والمكروه من الرسل، وإذا استحال ذلك استحال نفي الأمانة عن الرسل، وإذا استحال ذلك وجب أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أمناء، وهو المطلوب، فقد ثبت بهذا البرهان وجوب الأمانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الخيانة عليهم.

وبرهان وجوب التبليغ لهم عليهم الصلاة والسلام أنهم لو لم يجب لهم التبليغ وكتموا بعض ما أمرهم الله بتبليغه للعباد لكنا مأمورين نحن أن نكتم بعض ما أوجب الله علينا بتبليغه من العلم النافع، لأمر الله بإتباعهم في جميع أقوالهم وأفعالهم، وكوننا مأمورين بالكتمان محال، لأننا لو كنا مأمورين بالكتمان لانقلب الكتمان طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بطاعة وانقلاب الكتمان طاعة محال، لأنه

---

(١) سقط من الباريسية (أ).

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٨.

محرم وملعون فاعله لقوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**)[1].. الآية، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من كتم علما نافعا ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيامة)[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (كاتم العلم يلعنه كل شيء طلعت عليه الشمس)[3].. الحديث، وإنما كان انقلاب الكتمان طاعة محالا لأنه من باب اجتماع النقيضين، وهما الأمر والنهي، لأنه بالنظر إلى وقوعه من الرسل مأمور به، وبالنظر إلى كونه محرما منهي عنه، وكون الشيء الواحد مأمورا به ومنهيا عنه جمع بين النقيضين لا محالة، فإذا استحال انقلاب الكتمان طاعة استحال أمرنا به، وإذا استحال أمرنا به استحال وقوعه من الرسل، وإذا استحال وقوعه من الرسل استحال نفي التبليغ عنهم، وإذا استحال ذلك وجب التبليغ للرسل، وهو المطلوب، فقد ثبت بهذا البرهان وجوب التبليغ للرسل واستحال الكتمان عليهم.

وبرهان جواز اتصافهم بالأعراض البشرية مشاهدة وقوعها بهم تارة وعدمها تارة لمن عاصرهم أي لمن شاهدهم، لأن من شاهدهم قد رأى بعينه أنهم أكلوا وشربوا ومرضوا وناموا وباعوا واشتروا واستجاروا وزوجوا ونحو ذلك، ومن لم يشاهدهم بعينه بلغه ذلك بالخبر المتواتر الذي لا نقص فيه، وليس بعد العيان بيان، فلو كانت تلك الأعراض مستحيلة لما وقعت بهم، ولو كانت واجبة لما ارتفعت عنهم، ووقوعها تارة وعدمها تارة هو عين جوازها، والله الموفق للصواب.

وهذا آخر ما يتعلق من الكلام بالركن الثاني من أركان الإيمان الستة.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة.

(٣) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية، كتاب العلم، بلفظ: (كَاتِمُ الْعِلْمِ يَلْعَنُهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ وَالطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ).

[الركن الثالث: الايمان بالملائكة]

وأما الركن الثالث وهو الإيمان بالملائكة فلا بد فيه من معرفة حقيقة الملك وهو عبارة عن خلق روحاني من النور لا يأكل ولا يشرب ليس بذكر ولا أنثى، والملائكة جمع ملك بفتح اللام مشتق من الألوكة وهو الرسالة، وهم أجسام نورانية خلقت من النور لطيفة، فمن لطافتها أن الإنسان لا يحس بمن عليه منهم، شفافة لا تستر العورة ولا ترى، أعطاهم الله قوة التشكل على حسب مرادهم، فأي صورة أرادوها تشكلوا عليها، أقدرهم الله على أشياء يعجز البشر عنها من قطع المسافة الطويلة في طرفة عين، ويحملون الأشياء الثقيلة كالجبال والأرض في خفة الذرة أو أخف، متصرفون في الكون بأمر ربهم، وهم جنود الله، مسكنهم السماوات، ولا يجوز عليهم الذنب في حالة من الحالات، ولا يغفلون عن ذكر الله في ساعة من الساعات، لا يغشاهم النعاس فضلا عن النوم، ولا يمسهم التعب، ولا يحل بهم الكسل، ولا تطرفهم الفترة، ولا يوصفون بالسهو ولا بالنسيان، ومعنى الإيمان بهم: التصديق بوجودهم، موصوفون بما ذكرناه من الصفات آنفا وأنهم عباد مكرمون، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ولا يفوتهم أمر من أمر الله إلا فعلوه ولا يقعون في نهي محرم أو مكروه بل هم معصومون، المرسلون منهم وغير المرسلين، كما قال تعالى: **(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**[1]، وأنهم سفراء بين الله وبين خلقه، متصرفون فيهم كما أذن، منهم رسل الله إلى أنبيائه، وإلى بعض ملائكته، ومنهم موكلون بقبض الأرواح، وحفظة على العباد يكتبون أعمالهم لا يهملون ولا يتركون منها مقدار ذرة ويشهدون بها عليهم يوم القيامة، وخزنة للجنة وخزنة للنار وحملة للعرش وفتناء القبر، وقائمون بمواقف العباد ومصالحهم من تنزيل الأمطار وترتيب المعاش وإيصال الأرزاق وتصوير الأجنة في الأرحام، وقائمون بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغير ذلك من عبادة الله، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، وأنهم صادقون فيما أخبروا به، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى، قال الله تعالى عز وجل: **(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)**[2]، ويجب الكف عن ماهيتهم، إذ ليست معلومة لنا ولا نطيق إدراكها بل نعتقد أنهم أجسام متحيزة ونعجز عن كيفية تحيزها، ثم ما ورد منهم مفصلا واشتهر اسمه من كتاب الله أو سنة نبيه وجب الإيمان به تفصيلا؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ورقيب وعتيد ومنكر ونكير، وما لم يرد مفصلا ولا اشتهر اسمه وجب الإيمان به إجمالا، أي أن نعتقد أن كل ما علم الله من ملك فهو حق، والعصمة واجبة للجميع حتى هاروت وماروت على القول بأنهما ملكان وهو الصحيح، فيجب تعظيمهم وتوقيرهم واعتقاد عصمتهم، ومنهم كُرُبِيُّون[3] أي موكلون بكشف الكرب على المكروبين، ويجب اعتقاد أن أفضل

---

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

(٢) سورة المدثر، الآية ٣١.

(٣) كذا في تمبكتو. وهو الصواب من حيث اللغة. وفي الباريسية (أ) و (ب): كروبيون.

جميع الملائكة الأربعة المقربون، وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فجبريل صاحب الوحي لجميع الأنبياء، وميكائيل موكل بكيل الأمطار والبحار والعيون والآبار والأرزاق، واسرافيل موكل بولاية اللوح المحفوظ والنفخ في الصور، وعزرائيل موكل بقبض الأرواح، أي مطلق من له روح، من الأنس والجن والملائكة والبهائم والوحوش والطيور والدواب والحيتان وجميع خلق البر والبحر والسماوات والأرض والعرش والحجب والكرسي، أي مطلق من له روح: سئل مالك رضي الله عنه عن البراغيث، هل يقبضها؟ قال ألها نفس؟ قالوا: بلى! قال يقبضها، وهو ملك عظيم رأسه في العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى، ووجهه مقابل اللوح المحفوظ، الدنيا بين يديه كالكف ينظر فيها كل يوم نظرتين؛ فمن تم أجله قبض روحه ومن لا فلا، ثم مقربون آخرون غير هؤلاء الأربعة، فلا نطيل بذكرهم إذ لا يلزم معرفتهم، ويستحب التنزه عن الخوض فيهم لأنهم فيما لا يعني، وبالله التوفيق.

[الركن الرابع: الايمان بالكتب السماوية]

وأما الركن الرابع وهو الإيمان بالكتب السماوية، والمراد بها الكتب التي أنزلها الله على بعض رسله، وهي كلامه تعالى القديم القائم بذاته الذي ليس بحرف ولا صوت ولا تقديم ولا تأخير ولا لحن ولا إعراب ولا غير ذلك من أنواع التغيرات، بمعنى أن هذه الكتب من الألفاظ والحروف والتلاوة والقراءة والكتابة دالة على كلام الله القديم القائم بذاته المنزه عن الحروف والأصوات، ومعنى الإيمان بها التصديق بأن الله أنزلها على بعض رسله، بعضها أنزل في اللوح وبعضها أنزل على لسان الملك، وأن جميع ما تضمنته من الأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص والأمثال والأخبار والعبر والمواعظ وغير ذلك حق لا شك فيه، وأن بعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ، وأنزلها تارة مع جبريل، وتارة مع غيره، ولا يلزم معرفة عددها لأنه قد اختلف فيه، فقيل مائة وأربعة كتب، أنزل على شيث منها خمسون وعلى إدريس ثلاثون وعلى إبراهيم عشرة، واختلف في عشرة فقيل على آدم وقيل على موسى قبل أن تنزل التوراة، والتوراة على موسى والزبور على داوود والإنجيل على عيسى والفرقان على نبينا محمد صلى الله عليهم وسلم عليهم أجمعين، وقيل الكتب المنزلة من الله على رسله مائة وأربعة عشر كتابا، خمسون على شئت[1] وثلاثون على إدريس وعشرون على إبراهيم، واختلف في عشرة فقيل على إبراهيم وقيل على موسى قبل التوراة، ثم التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داوود والفرقان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال في جميع الكتب المنزلة صحف، ثم وجب الإيمان بهذه الأربعة أعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان تفصيلا، فنعتقد أن هذه الأربعة المذكورة منزلة من الله تعالى على هؤلاء الرسل الأربعة المذكورين بعينهم، أعني موسى وداوود وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، وما عدا هذه الأربعة من بقية الكتب المنزلة يجب الإيمان بها إجمالا، بمعنى أن الله أنزل الكتب على بعض رسله، ولا يلزم تعيين الكتب ولا تعيين الرسل المنزلة عليهم، وأما اختلاف أسماء الكتب فبحسب اختلاف اللغات؛ فإن نزل بلغة العرب يسمى قرآنا وفرقانا، وإن نزل بلغة العبرانية يسمى التوراة، والمراد بالتوراة: المهدي، لأنه يهدي به، وإن نزل بلغة السريانية يسمى إنجيلا، والمراد بالإنجيل: الأصل أي الشريعة، وإن نزل بلغة داوود يسمى زبورا، والمراد بالزبور: الكتب، لأنه مكتوب من اللوح المحفوظ، فالله أعلم بالصواب وبالله التوفيق.

---

(١) هكذا وردت في جميع المخطوطات، والمشهور أنه (شيت).

[الركن الخامس: الايمان باليوم الآخر]

وأما الركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، ويسمى باليوم الآخر لأنه لا ليل بعده، وقيل لأنه آخر أيام الدنيا، ويسمى يوم القيامة لقيام الخلق فيه من قبورهم، أو لقيامهم بين يدي خالقهم أو لقيام الحجة عليهم وقد سماه الله في كتابه ساعة، فقال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)**[1]، وقال: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ)**[2].. الآية، وله أسماء كثيرة ذكرت في الكتاب العزيز نحو المائة وأكثر، وكثرة أسمائه تدل على عظمة أهواله وشدة أحواله، وفي ذلك تنبيه وإيعاظ لأولي الألباب لينتبهوا به على التوجه إلى الله بكليتهم ظاهرا وباطنا، وأوله من النفخة الأولى وهي نفخة الصعق التي يموت عندها كل حي ويهلك بها كل حادث، وآخره استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وطوله ورد في سورة السجدة، أن مقداره ألف سنة، وورد في سورة المعارج أن مقداره خمسين ألف سنة، ووفق بعضهم بين الآيتين فقال في يوم القيامة أن مقداره خمسين موقفا كل موقف مقداره ألف سنة، فآية المعارج تكلمت على كلية، وآية السجدة تكلمت على موقف واحد منه، ومعنى الإيمان به التصديق بأنه آت بلا ريب فمن شك في إتيانه أو كذّب فهو كافر بلا نزاع، قال تعالى بالنسبة لمن كذب: **(وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا)**[3]، وأما بالنسبة للشك قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)**[4].

ويجب الإيمان أيضا بجميع ما احتوى عليه هذا اليوم كسؤال القبر أي سؤال منكر ونكير للميت في القبر عن توحيد الله، بأن يعيد الله تعالى للميت الروح في جميع جسده بقدر ما يفهم به الخطاب ويرد به الجواب، بعد فراغ الدفن وانصراف الناس عنه، وأنه يسمع قرع نعالهم، فيدخلان عليه في قبره، وهما ملكان غليظان، أسودان في شعرهما، يشقان بأنيابهما الأرض، وهما كصياص البقر، أي قرونها، أعينهما كقدور النحاس وأصواتهما كالرعد القاصف، إذا تكلما خرج من أفواههما كالشرار، مهولان الصورة، ولا يشبهان الجن ولا الإنس، ولا يشبهان الملائكة، وجميع خلق الله يخاف منهما حتى مالك خازن النار والزبانية[5] وكل مخلوق يستعيذ منهما، بيد كل واحد منهما مطرقة من النار، ولو وضعت واحدة واجتمع عليها أهل الأرض كلهم لم ينقلوها، ولو وقعت من تلك المطرقة شرارة واحدة على الأرض لم تنبت خضراء إلى يوم القيامة، فيقعدان الميت وينتهرانه حتى ترتعد مفاصله، وينحل جسده، ويذوب قلبه، وتبرز عيناه من رأسه، فيقولان له من ربك، ومن نبيك؟، فإن كان مؤمنا عارفا بعقائد إيمانه المتعلقة بالله وبرسله عليهم الصلاة والسلام موقنا بذلك؛ قال الله ربي ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، ويقول لهما: لا إله

---

(١) سورة لقمان، الآية ٣٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية ١١.
(٤) سورة الشورى، الآية ١٨.
(٥) في المخطوطات الثلاث وردت (وزبانية).

إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تدهشه روعتهما وانتهارهما عن الجواب، فيجتزيان منه بذلك، ثم يضربان له القبر ويوسعان عليه مدّ البصر ويملآنه عليه خضرا، ويقولان له نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب الناس إليه، وإن كان الميت كافرا ومنافقا أو جاهلا بعقائد الإيمان بحيث لا يعتقدها في قلبه ولو بالتقليد، قال لهما: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيقولان له لا دريت ولا تليت، ويضربانه بتلك المطرقتين ضربة عظيمة يصيح منها صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين[1]، فتنخسف به الأرض إلى طرفها الأسفل، ثم يلتئم القبر عليه حتى تختلف أضلاعه، وترده الأرض إلى لحده، ثم يفتحان له بابا من أبواب جهنم، فيقولان له: انظر إلى مقعدك إلى يوم القيامة، ثم يبعث الله عليه تسعا وتسعين تنينا تنهشه إلى يوم القيامة، وتنين واحد منها إن نفخ على الأرض نفخة واحدة ما انبتت خضراء إلى يوم القيامة، فالمؤمن يسأل في قبره سبعة أيام والكافر أربعين صباحا [ومساءا][2]، وقيل غير ذلك فلا نطيل به.

وكل ميت يسأل عن توحيد الله، قبر أو لم يقبر، كالحريق والغريق وأكيل السبع، والطيور ونحو ذلك، إلا سبعة فلا يسألون في قبورهم ولا يحاسبون يوم القيامة ولا يعذبون، منهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والشهيد المعترك، والرابط: وهو من سد ثغرا من ثغور المسلمين للحراسة، وميت الجمعة، يعني ليلها ونهارها أعني من خرجت روحه بها ولو لم يدفن إلا بعدها، ومن قرأ سورة الملك في كل ليلة، وميت البطن أعني من مات بوجع البطن، ومن قرأ (قل هو الله أحد) في المرض الذي مات فيه ولو لم يكن قرب الموت بل طال مرضه بعد قراءتها، وهذا كله فيمن كان ممتثلا للأوامر ومجتنبا للمنهيات، فلا يغتر جاهل بظلمته مشتبك، ولا غافل في هواه منهمك، ولا عاص لحرمات ربه منتهك، إذ ليس هذا مقام أهل الجرأة و الانتقاص، ولا رتبة أهل النوم والالتباس، بل مقام ذوي الألباب والاختصاص، الذين ليس لهم دون حضرته تعالى محيد ولا محاص.

ومن جملة ما احتوى عليه هذا اليوم عذاب القبر والمراد به عذاب البرزخ وأضيف للقبر لأنه الغالب، وإلا فالمأكول والحريق والغريق ونحوهم يعذبون، وعذاب القبر ثابت لجميع المنافقين والكفار إجماعا، وبعض عصاة الموحدين الذين ماتو بغير توبة فيعذبون بما يعلمه الله أنه عذاب – وتجهل حقيقته – على قدر ما يشاء الله من الزمان، قليلا أو كثيرا، ثم يرفعه عنهم فلا يعود إلى يوم القيامة، ومنها نعيمه أي القبر، فيجب الإيمان به أعني في حق المؤمن الطائع لقوله عليه الصلاة والسلام: (القبر روضة من رياض الجنة) أي بالنسبة للمؤمن الطائع (أو حفرة من النار)[3] أي بالنسبة للكافر، ومنها ضغطته أي القبر أي ضمته للميت، فيجب التصديق بها، فلا يُنجَّى منها أحد إلا فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب

(١) في المخطوطات الثلاث وردت (الثقلان).
(٢) انفردت بها الباريسية (أ).
(٣) رواه الترمذي.

أم علي رضي الله عنه وعنها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اضطجع في قبرها قبل أن تدخل فيه، وألبسها قميصه فسلمت بذلك من ضمة القبر، وألبسها الله من ثياب الجنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (اضطجعت في قبرها لتسلم من ضمة القبر وألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة)[1]، وأما غيرها فلا يسلمون من ضمة القبر، لكن ضمته للمؤمن الطائع ضمة رحمة وشفقة، كضمة الأم لولدها إذا اشتكى إليها الصداع، وأما ضمته للكافر والعاصي فضمة عذاب وغضب، وتقول له: كنت أبغضك وأنت على ظهري كيف بك الآن وأنت في بطني.

ومن جملة ما احتوى عليه هذا اليوم النشر، وهو البعث، والمراد به قيام الخلق من قبورهم أي إعادة أجسادهم السابقة بعينها لا مثلها، فيخرجهم الله من قبورهم بالحالة التي خرجوا بها من بطون أمهاتهم، لا ينقص منها ذرة، ثم يزيدهم الله تعالى ما أراد زيادته في الحين، قال الله تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ)**[2]، وقال: **(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى)**[3]، هذا مذهب أهل السنة رضي الله عنهم، وكل ما خالف هذا فهو ضلال، وأما الأعراض فاختلف العلماء فيها: هل تعود بأعيانها أو أمثالها؟، والصحيح إعادة الأعيان، وبعث الملائكة والإنس والجن مجمع عليه، وأما غير هؤلاء الثلاثة من سائر الحيوانات فاختلفوا في بعثه وعدمه والصحيح البعث.

وأما أهوال هذا اليوم وهو يوم الحشر، والمراد سوق الخلائق بعد بعثتهم وجمعهم في الأرض المقدسة، وهي أرض الشام، لأن أرض المقدس من الشام جمع الخلائق يوم القيامة يكون عليها، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إلى هنا تحشرون وأشار إلى الشام)[4]، فيقفون عليها ما شاء الله، مقدار ألف سنة على هذه الأرض، ليس فيها حساب ولا ميزان ولا كتب ولا غير ذلك، بل يقف الناس عاقدين بأيديهم على أعناقهم، رافعين رؤوسهم، شاخصين بأبصارهم إلى السماء، لا ينظر الرجل إلى المرأة ولا المرأة إلى الرجل، مشغول كل امرئ بنفسه عن ولده ووالده وصاحبته، يموجون في العرق من شدة الحر، منهم من يبلغ العرق منه إلى الركبتين، ومنهم من إلى صلبه، ومنهم من إلى صدره، ومنهم من إلى عنقه، ومنهم من يلجمه، ومن يعوم فيه كالضفادع في الماء، والناس في هول شديد، وأمر عظيم، تعجز العقول عن إدراكه، قد شاب صغيرهم وسكر كبيرهم، وطاشت عقولهم، وقد مارت السماء فوقهم مورا، أي دارت دورانا وسقطت نجومها، وذهب نور الشمس وأظلمت، حتى أن الإنسان إذا أخرج يده لم يكد يراها، واشتد حرها، ودنت من رؤوس الناس، وأحاطت بهم الملائكة من كل جهة، هادمين أجنحتهم متسربلين بها، منكسين رؤوسهم إلى الأرض، خانعين ذالين، لهم أصوات عظام أشد من أصوات الرعد القاصف، تكاد

---

(١)الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وكنز العمال.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٣٠.

(٤) رواه أحمد.

قلوب الثقلين أن تخرج من صدورها من شدة أصوات الملائكة، ثم إن الله تعالى يقول: **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)**[1] أي حجة، فيقول الكافر: **(يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)**[2]، ويقول المؤمن: **(هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)**[3]، فيقول الله تعالى: **(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ)**[4]، ثم في هذه الأهوال والشدائد والدواهي الجسائم والمصائب العظائم، إذ سمعوا صوتا منكرا ما سمعوا مثله قط في الشدة لا في القبر ولا في هذا اليوم، قد زالت عقولهم من صدورهم منه، وبرزت أعينهم من رؤوسهم، ونشفت دموعهم من أعينهم، وذهلوا عن جميع الأهوال التي أحاطت بهم، وقالوا: ما هذا؟ وإذا بمناد ينادي بأعلى صوت، يسمعه جميع من في الحشر: هذه جهنم قد أقبلت بحيّاتها وعقاربها وزفراتها وشدتها، وهي تأكل بعضها بعضا، ويركب بعضها على بعض من شدة الغيظ، وهي تفور تكاد تميز من الغيظ، والزبانية متعلقة بسلاسلها، وهي تجرهم وتمشي على أربع قوائم، وتزفر زفيرا عظيما، فإذا كان بينها وبين الخلائق مسافة خمسمائة عام، أمر الله الزبانية أن يغلّوها ويوقفوها ويحبسوها عن الخلائق، لئلا تأخذهم جميعا من شدة غيظها، فيزجرونها ويكفونها عن الخلائق بالسلاسل والأغلال، فحينئذ تنفلت منها الأغلال، وتشرف على الخلائق في الحشر، وتزفر عليهم زفيرا عظيما، وتملأ عليهم الجو ظلمة ونتناً ودخانا، فلم يبق أحد إلا جاثيا على ركبتيه، حتى الأنبياء والرسل والملائكة، وكل واحد يقول: نفسي نفسي، إلا نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيكفها بيده الشريفة وهو قائم، فيقول لها يا نار كفي لا تزيدي تغيظا، فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا نار اسمعي وأطيعي لحبيبي محمد، فتتأخر النار حينئذ مقدار خمسمائة عام، ثم يأخذها الزبانية ويأتون بها بين الخلائق وبين الجنة، بحيث لا طريقة إلى الجنة إلا بها، فيشتد الكرب على الخلائق بحلول النار بينهم وبين الجنة، فحينئذ يضرب الصراط على متن جهنم، رأس عند الخلائق في أرض المحشر، ورأسه الآخر عند الجنة، وسطه على ظهر جهنم، وهو أرق من الشعر، وأحد من السيف، وأظلم من الليل، طوله ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود وألف هبوط وألف استواء، فحينئذ يموج الخلائق بعضهم في بعض، فيطلبون شافعا في الفصل بين الخلائق، فيأتون آدم عليه السلام فيعتذر لهم ويقول لهم: لست أهلا لذلك، ويحيلهم على نوح عليه السلام، فيعتذر لهم ويقول: لست أهلا لذلك، ثم يأتون إبراهيم عليه السلام فيقول كإخوانه، ثم يأتون موسى عليه السلام فيقول كإخوانه ويحيلهم على صاحبها المعين لها المختص بها والمشفع فيها، أشرفهم عند الله وأعظمهم وأكبرهم لديه، سيدنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتونه ويقول لهم: أنا لها ثلاثاً، ثم يطير في الهواء أسرع من طرفة عين، فيحمل تحت العرش فيخر ساجدا، فإذا النداء من قبل الله: يا محمد ما في هذا اليوم سجود

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٣٣.
(٢) سورة يس، الآية ٥٢.
(٣) سورة يس، الآية ٥٢.
(٤) سورة يس، الآية ٥٣.

ولا ركوع، ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول: يا رب، قد طال الوقوف بالعباد، واشتد بهم الكرب، وعظم الخطب، وضاقت المذاهب، وطاشت العقول؛ فافصل بين عبادك بالحق كما وعدتهم ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فحينئذ يأمر الله الملائكة بتبديل الأرض، فيؤتى بأرض بيضاء كالفضة، لم يظلم عليها أحد، ولم يسفك فيها دم، فتسحب هذه من تحت أرجلهم، وتمد تلك في موضعها، وذلك قوله تعالى: (**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ**)[1].. الآية، ثم يأمر الله تعالى جبريل أن ينصب الميزان، وهو ميزان واحد بين الخلائق كلهم، الإنس والجن، له كفتان ولسان وعمود، فجبريل آخذ بعموده، ناظر لسانه، كفته كطباق السماوات والأرض، أعني وسعها، وهو على جبريل أخف من مثقال ذرة، إحدى كفتيه من نور والأخرى من ظلمة، وقيل تتعدد الموازين وعليه فهل لكل واحد ميزان أو ميزانان، أحدهما للحسنات والسيئات، والآخر للكفر والإيمان، والصحيح الأول، فيوزن فيه جميع أعمال العباد، مؤمنهم وكافرهم، حتى الأنبياء على الصحيح، وقيل إن الكفار والأنبياء لا يوزن لهم عمل، لأن الكفار ليس لهم حسنة توضع في كفة الحسنات، والأنبياء ليست لهم سيئات توضع في كفة السيئات، والوزن لا بد له من المعادلة، وهذا القول ضعيف، والمعول عليه الأول، واختلف في الموزون فقيل بطائق الأعمال، أي الكتب التي كتبها الملائكة على العبد، وقيل إن الله يخلق أجساما حسنة نورانية على عدد الحسنات، ويخلق أجساما قبيحة ظلمانية على عدد السيئات، فيوضع كل جسم في كفة، والصحيح الأول، وأما القول بأن الله يصور الأعمال الحسنة صورا نورانية ويصور الأعمال السيئات صورا ظلمانية فلا يصح عندي، لأن الأعمال معاني والصور أجسام، ويستحيل انقلاب الجسم عرضا والعرض جسما، والمستحيل لا يتصور وجوده، وتوجيههم إلى صحة انقلابه لأن يوم القيامة هو محل خوارق العوائد ليس بظاهر عندي، لأن خرق العادة كله إنما يجوز في الممكنات التي يجوز أن يسدّ أحدهما مسدّ الآخر لأن بعض الممكنات يجوز على بعضها الآخر، إذ مولانا جل وعز هو الذي عود لكل ممكن ما اختار له، فضلا وعدلا، وأما قلب الحقائق فلا يجوز في العقل، والله أعلم، وصفة الوزن أن تجمع حسنات العباد كلهم، تجمع من أولهم، نبيهم وطائعهم وعاصيهم، مؤمنهم وكافرهم، فتوضع في كفة النور مرة واحدة، ثم تجمع السيئات كلها فتوضع في كفة الظلمة مرة واحدة، فيخلق الله لكل إنسان علما ضروريا يفهم به ثقل عمله وخفته، ويقبض بصره عن مشاهدة عمل غيره، فمن ثقلت موازين حسناته على سيئاته نجا من النار، وأمر به إلى الجنة، ومن خفت حسناته وثقلت سيئاته أمر به إلى النار، إلا أن يشفع فيه الشافع، أو يغفر الله له، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهم أصحاب الأعراف، والأعراف سور بين الجنة والنار، الجنة على يمينه والنار على شماله، فيقفون على شماله ما شاء الله، ثم يدخلون الجنة، وعلامة الثقل والخفة مثل ميزان الدنيا، وقيل عكس ميزان الدنيا، وقيل علامة ذلك إذا رجحت الحسنات طلع نور من

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

كفة النور حتى يغمر كفة الظلمة، وإذا رجحت السيئات طلعت ظلمة من كفة الظلمة حتى يغطي كفة النور، والله أعلم.

ومن أهواله إعطاء الكتب، فيعطى لكل أحد كتابه المشتمل على حسناته وسيئاته، واختلف في الكتب التي يعطونها العباد، فقيل الكتب التي كتبتها الملائكة الحفاظ على العباد، وهو الصحيح، وقيل كتب مخزونة تحت العرش، وقيل كتب كتبها العباد في قبورهم، منهم من يأخذ كتابه بيمينه، وهو المؤمن الطائع إجماعا، والعاصي على المشهور، وعليه فهل يأخذه قبل دخول النار فيكون علامة على عدم خلوده، أو بعد خروجه منها، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعده عبد الله أبو سلمة بن عبد الأسود، ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وهو الكافر إجماعا، فيأخذ كتابه من وراء ظهره، فإن قيل كيف يأخذ الكافر بشماله من وراء ظهره؟ قيل إن الكافر إذا مد إليه كتابه وأراد أن يأخذه بيمينه أخذ الملك منه يمينه وغلها إلى عنقه، وأخذ بيسراه وضربها في صدره وأخرجها من وراء ظهره، ويحول وجهه إلى قفاه، ويعطيه كتابه من وراء ظهره، ويقول له: (**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**)[1]، وأول من يأخذ كتابه بشماله أسود بن عبد الأسود، أخو أبي سلمة المذكور قبل، ومن الناس من لا يأخذ كتابا، وهو كل من لم يحاسب؛ كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصديقين والسبعين ألفا والشهداء، لأن الحساب فرع الإعطاء، وإذا أخذ المؤمن السعيد كتابه بيمينه وهو كتاب أبيض مكتوب بخط أبيض فيقرؤه فيبيض وجهه، ثم يمر كتابه إلى أصحابه فرحا به، فيقول: (**هاؤم اقرأوا كتابيه**)[2] أي اقرأوا كتابيه وانظروا إلى ما فيه من سعادتي ونجاتي، فحينئذ يأخذه الملك الموكل به من ضبعيه فيرفعه على رؤوس الأشهاد، فيقول: هذا فلان بن فلان، حتى يشهد عليه جميع من كان في المحشر من الملائكة والإنس والجن، ثم يقول: قد سعد سعادة الأبد لا شقاء بعدها، وإذا أخذ الشقي كتابه بشماله وهو كتاب أسود مكتوب بخط أسود فيقرؤه فيسود وجهه، ثم يقول: (**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ**)[3]، فيأخذه ملك موكل به من ضبعيه فيرفعه على رؤوس الأشهاد، فيقول: هذا فلان بن فلان، حتى يشهد عليه جميع من كان في المحشر، ثم يقول: قد شقي شقاوة الأبد لا سعادة بعدها، ثم يرميه إلى النار، وذلك قوله تعالى: (**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**)[4].

ومن أهواله الحساب، فيحاسب كل أحد على أعماله تفصيلا، إلا من تقدم منهم لا يحاسبون، والمراد بالحساب تعدد الأعمال، فيعدد على كل أحد عمله من خير وشر، قليلا أو كثيرا، فيحاسبون

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٤.

(٢) سورة الحاقة، الآية ١٩.

(٣) سورة الحاقة، الآيات ٢٥-٢٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٠٦.

على النقير والقطمير، ولا يظلمون فتيلا، والناس على ثلاثة أقسام، قسم لا يحاسبون أصلا، وهم الأنبياء والشهداء والصديقون والسبعون ألفا، وقسم يحاسبون حسابا يسيرا، والمراد به السهل الذي لا مناقشة فيه، وهم المؤمنون الطائعون، وقسم يحاسبون حسابا شديدا، والمراد به المناقشة التي لا يمر فيها على حسنة إلا وهي مردودة غير مقبولة لعوائقها التي لحقتها في الدنيا من رياء وعجب وكبر وحسد ونحوها، ولا سيئة إلا وهي معدودة مؤاخذ بها لعدم التوبة اللاحقة لها، أو لعدم صحة توبتها، ويكون منهم مؤمن وكافر، وجاء أن عمل العبد مؤرخ عليه بالسنة والشهر والجمعة واليوم والساعة والزمان والمكان، ومثل هذا لا يمكن إنكاره، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة: الصلاة، أعني في حقوق الله، وأما حقوق الناس؛ فأول ما يقضى في حقوق الناس في الدماء، من نفس وطَرَف وجرح، وكيفية الحساب في حقوق الناس أن يأخذ حسنات الظالم فيعطي للمظلوم، فإن وفَّت فواضح، وإن لم توفّ يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم، فإن وفت فواضح، وإن لم تكن للظالم حسنة ولا المظلوم سيئة يعطي الله المظلوم من خزائنه بقدر ما استحق من الظالم، ويعفو الله عن الظالم إن شاء بفضله.

ومن جملة ما احتوى عليه هذا اليوم الشفاعة، فيجب الإيمان بها، أي بأنها ثابتة له صلى الله عليه وسلم ولجميع الأنبياء والمرسلين والعلماء والشهداء والصالحين، وكل واحد يشفع بقدر جاهه عند الله في عصاة الموحدين من هذه الأمة، ودليلها قوله تعالى: **(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)**[1]، والمراد بالمقام المحمود: مقام الشفاعة، وقوله تعالى: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)**[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ليشفعن رجل من أمتي في مثل ربيعة ومضر، قيل يا رسول الله: ما ربيعة من مضر، قال: إنما أقول ما أقول)[3]، والشفاعة على أقسام منها الشفاعة العظمى لفصل القضاء وراحة الخلق من الموقف وهي خاصة به صلى الله عليه وسلم إجماعا، فلا يجوز لأحد سؤالها، وقد تقدم الكلام عليها، ومنها الشفاعة في قوم رجحت سيئاتهم على حسناتهم وأمر بهم إلى النار، فيشفع فيهم هو وغيره، ومنها الشفاعة في قوم دخلوا النار فيعجل خروجهم قبل استيفاء ما عليهم فليست خاصة به صلى الله عليه وسلم، ومنها الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة أي في قوم دخلوا الجنة، فترفع درجاتهم بالشفاعة، فقد اختلف في اختصاصه بها وعدمه، ومنها الشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار، وهذه خاصة به صلى الله عليه وسلم؛ كتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب لأنه عليه الصلاة والسلام قال له عمه عباس: (إن عمك أبا طالب يا ابن أخي كان يعولك، فهل ينفعه ذلك، فقال له عليه الصلاة والسلام: نعم، وإني وجدته في الدرك الأسفل من النار فلم أزل أنقله حتى جعلته في ضحضاح من النار – والضحضاح: قدر

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٩.
(٢) سورة الضحى، الآية ٥.
(٣) رواه الترمذي وأحمد.

ما يستر القدم – وإذا عطش شرب في نقرة إبهامه)[1]، وكتخفيف العذاب عن عمه أبي لهب، لأنه لما بشرته مولاته ثويبة بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح وقال: أنت حرة، وكان ذلك اليوم الاثنين أو ليلتها، فهو يرفع عنه العذاب في ذلك اليوم وفي تلك الليلة، وكتخفيف العذاب عن حاتم الطائي لأنه لما أسلم ولده عدي أخبره رسول الله بأن الله رفع عنه العذاب بسبب سخائه، وثم شفاعات أخر لا نطيل بذكرها.

ومن ما احتوى عليه هذا اليوم: الإيمان بحوضه عليه السلام، بأن وجوده يوم القيامة حق، لقوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله أعطاني حوضا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خريره إلا وسمعه، قالت عائشة: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: ادخلي إصبعيك في أذنيك وشدي ذلك، فالذي تسمعين خريره)[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: (حوضي مسافة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل فيه كيزان على عدد نجوم السماء وروي أكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا)[3]، قال تعالى: **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)**[4] وقيل المراد به الحوض، واختلف في الحوض، هل هو خاص به صلى الله عليه وسلم أو لكل نبي حوض، وعلى القول بأنه خاص به فأول من يشرب منه بعد النبيين والمرسلين هذه الأمة المشرفة، ثم بعدها باقي الأمم، ولا يعطشون بعدها أبدا، ويكون شرابهم في الجنة تلذذا، وأما على القول بأن لكل نبي حوضا، فكل أمة تشرب من حوض نبيها، ويذاد عنه من بدّل وغيّر، أي يطرد ويبعد عن الحوض من بدل الإيمان بالكفر، وهو الكافر الأصلي والمرتد الذي مات على ردته، ومن غير اعتقاده كالقدرية والحرورية والمعتزلة، ويشرب منه كل مؤمن طائع أو عاص، لكن اختلفوا في العاصي هل يشرب منه قبل دخوله النار ويعذب فيها بغير عطش، لأن من شرب منه لا يعطش، أو بعد خروجه منها، واختلف في الحوض هل هو قبل الصراط، وهو الذي جزم به أبو الحسن في كفاية الطالب وهو الصواب عندي، لأن الناس يقومون من قبورهم عطاشا فيشرب منه أهل الخير ليحصل لهم الرِّيّ في الموقف العظيم، وهو أي الحوض في الأرض المبدلة وقيل إنه بعد الصراط، وصححه بعضهم، وقيل هما حوضان أحدهما قبل الصراط والآخر بعده، وهو ضعيف، وروي أن الأمين

---

(١) روى معنى الحديث البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) في شرح الشفا، لأبي الحسن نور الدين القاري (ت ١٠١٤هـ)، ج١ ص٤٨٢ ط١ دار الكتب العلمية بيروت، ما نصه: (وقد ذكر الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله تعالى أعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يشاء احد من أمتي أن يسمع خرير ذلك الكوثر إلا سمعه فقلت يا رسول لله كيف ذلك قال أدخلي أصبعيك في اذنيك وسدي فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلي ذكره **التلمساني**).

وفي كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس للعجلوني: (عزاه السهيلي وغيره للدارقطني، وهو موضوع. وذكره ابن جرير في تفسيره عن عائشة من قولها قالت من أحب أن يسمع خرير نهر الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه، وهذا مع وقفه منقطع، لكن يقوى الرفع ما رواه الدارقطني عن عائشة بلفظ إذا جعلت أصبعيك في أذنيك سمعت خرير الكوثر، قال ابن كثير ومعناه من أحب أن يسمع خرير الكوثر أي نظيره أو ما يشبهه لا أنه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوي ما يسمع إذا وضع الإنسان أصبعيه في أذنيه).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٤) سورة الكوثر، الآية ١.

عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأركانه أربعة، أبو بكر على ركن وعمر على ركن وعثمان على ركن وعلي على ركن، من أبغض أحدا منهم لا يسقيه الآخر، والله الموفق للصواب.

ومن أهوال هذا اليوم الصراط، وهو أشد الأهوال وآخرها، وهو جسر ممدود على ظهر جهنم ليمر عليه إلى الجنة، ولا طريق لها إلا منه، فتمر عليه أقدام المؤمنين الطائعين، وتزل به أقدام الكفار وبعض أهل الكبائر، وله سبع عقبات، يسألون الناس عندها، فيسأل العبد في العقبة الأولى عن الصلاة المفروضة[1]، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة الثانية يسألون عن الزكاة، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة الثالثة يسألون عن الصوم، أي صوم شهر رمضان، فإن وفى نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة الرابعة يسألون عن الحج، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة الخامسة يسالون عن حقوق الوالدين، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة السادسة يسألون عن حقوق الجار، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وفي العقبة السابعة يسألون عن حقوق الناس، فإن وفى بها نجا وإلا فهو في النار، وروي أن جبريل في أوله وميكائيل عند وسطه، يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن شبابهم فيما فعلوه، وعن مالهم من أين اكتسبوه وفيما أنفقوه، وعليه حسك وكلاليب كشوك السعدان ولعل المراد بشوك السعدان شوك الكتر يختطفون بها أرجل المارة، ودعاء الرسول يومئذ: يا سلام سلم، والناس يومئذ في فريقين، فريق أهل السعادة وفريق أهل الشقاوة، فأهل السعادة هم الجائزون على الصراط إلى الجنة، وأهل الشقاوة هم الهالكون في جهنم على الصراط وغيره، ثم الجائزون عليه مختلفون، فمنهم المسرع ومنهم المبطئ على قدر تفاوتهم في الإعراض عن محارم الله، والنهوض إلى أوامره في الدنيا، فمن كان إعراضه عن محارم الله أكثر من غيره ونهوضه إلى الطاعة أبدر كان مروره على الصراط أسرع، فأسرعهم الذين يجوزون عليه كلمحة البصر، ثم بعدهم الذين يجوزون كلمحة البرق، ثم بعدهم الذين يجوزون كالريح، ثم الذين يجوزون كالطير، ثم الذين يجوزون كسوابق الركاب، ثم الذين يجوزون كالجاري من الرجال، ثم المهرول، ثم من يرمل خببا، ثم الماشي على رجليه، ثم من يجوز حبوا، على قدر مراتبهم، فالهالكون أيضا متفاوتون في سرعة الهلاك، فمنهم من يهلك بأول قدم ومنهم من يهلك بثاني قدم ومنهم من يهلك بثالث قدم وهلم جرا، ومنهم من يهلك بآخر قدم، فمن يهلك بآخر قدم كان خروجه من النار أولا، ومن هلك بأول قدم من العصاة كان خروجه آخرا، أما الكافر فلا يخرج، فالمؤمنون لا طريق لهم إلا عليه، فالكفار فمنهم من يدخل النار على الصراط، ومنهم من يساق إليها سوقا عنيفا، ومنهم من تحمله الملائكة كرها وتلقيه في جهنم، ومنهم من يسلسل بسلاسل في عنقه ويجر إليها ويكب فيها على وجهه ويسحبون فيها على بطونهم، ومنهم من يشتد عليه العطش ويرفع له شبه الماء فيتبعه حتى يهوي فيها من حيث لا يشعر، نعوذ بالله من دركات النار، ومن عمل يقود إليها بجاه نبينا ومولانا

(١) في تمبكتو: (عن توحيد الله).

محمد صلى الله عليه وسلم، ونسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ومن جملة ما احتوى عليه هذا الركن الإيمان بوجود الجنة والنار الآن، وأن الجنة دار خلود المؤمنين، والنار دار خلود الكافرين، والإيمان بأن المؤمنين يرون الله في الجنة وإن اختلفت رؤيتهم، فمنهم من يراه بكرة وعشيا، ومنهم من يراه كل يوم مرة، ومنهم من يراه يوماً بعد يوم، ومنهم من يراه بعد يومين أو ثلاثة، ومنهم من يرى في مثل أيام الأعياد والجمع، وأن الكفار محجوبون عن رؤية الله تعالى، ومثلهم المبتدعة والمعتزلة والقدرية والحرورية والجبرية والرافضة ونحوهم، فإن هؤلاء الفرق كلهم محجوبون عن رؤية الله سبحانه وتعالى.

هذا آخر ما يتعلق بالركن الخامس.

[الركن السادس: الايمان بالقدر]

وأما الركن السادس وهو الإيمان بالقدر، فمعناه أن كل ما وقع في الملك من خير أو شر أو حلو أو مر، دنيوي وأخروي، علوي أو سفلي، ذات أو صفات، مقترن بسبب أو لا، فهو من الله وحده بلا معين ولا واسطة ولا معالجة، بمعنى أن الله علم الأشياء كلها في الأزل، وأراد في الأزل وقوعها فيما لا يزال في الوقت الذي أراد وقوعها فيه، وأوقعها الآن بقدرته الأزلية، موافقا لما علمه وأراده في الأزل، سواء في ذلك ذوات الحيوانات وأفعالها الاختيارية والاضطرارية، خلافا للقدرية، والاضطرارية مجوس هذه الأمة القائلين بأن ذوات العبيد مخلوقة لمولانا جل وعز، وكذا الأفعال الاضطرارية، وأما أفعال العبيد الاختيارية فهي مخلوقة لهم بقدرتهم الحادثة، وزعموا أن القدرة الحادثة مخلوقة في العبد ومودعة فيه، يؤثر بها في الأفعال الاختيارية، وذلك باطل، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وسواء في ذلك أيضا المسببات التي تقترن بالأسباب كالحرق المقترن بالنار، والشبع المقترن بالأكل، والري المقترن بشرب الماء مثلا، وغيرها، وأن كلا مخلوق لمولانا جل وعز ولا تأثير لتلك الأسباب في المسببات أصلا، لا بطريق العلة، ولا بطريق الطبيعة، ولا بقوة أودعت فيها، وإنما المؤثر في الجميع مولانا جل وعز على ما سبق في علمه وإرادته، خلافا للفلاسفة لعنهم الله القائلين بتأثير الأسباب العادية في المسببات، لكن اختلفوا في ذلك التأثير، فمنهم من قال: بطريق العلة، ومنهم من قال بطريق الطبيعة، فلا خلاف في كفرهم، ومنهم من قال بقوة أودعت فيها، وإن نزعها عنها لم تؤثر، وهو ضال مبتدع فاسق، في كفره قولان، أعني في الدنيا، وأما في الآخرة فهو كافر مخلد في النار بلا نزاع، لقوله عليه الصلاة والسلام: (ستفترق هذه الأمة بعدي إلى ثلاثة وسبعين فرقة والمصيب فيها فرقة واحدة والباقون في النار)[1]، والمراد بالخير في القدر هو الإيمان بالله والطاعة، والمراد بالشر: الكفر والمعاصي، والحلو: ما وافق النفس، والمر: ما خالف النفس، قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر: واعلم أن الإيمان بالقدر على قسمين، أحدهما الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير أو شر، وما يجازون عليه، وأنه كتب ذلك عنده وأمضاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابته، وثانيها: أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها من خير وشر وكفر وإيمان، وهذا القسم ينكره القدرية كلهم، الأول لا ينكره إلا غلاتهم، وكفرهم بإنكاره كثيرون، ومحل الخلاف حيث لم ينكر العلم القديم، وإلا كفروا كما نص عليه الشافعي وأحمد وغيرهما، والله الموفق للصواب.

(١) روى معناه الترمذي وابن ماجة وأبو داوود وأحمد.

[الخاتمة]

وقد اكتمل ما رمته وكمل ما قصدته ووعدت به، نسأل الله قبوله والنفع به لكل من اعتنى بتخليصه، وأفرغ وسعه في تدبيره وتأميله، واغبرت قدماه في طلبه وتعليمه، وأفرد القلب إلى تفهيمه وترتيله، وأصغى بأذنيه إلى معانيه وتأصيله، ثم أعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب، لأني لست من أهل هذا الشان، ولا من خيل ذلك الميدان، وإنما ذلك للجهابذة الفرسان، ثم الصلاة والسلام على سيد الثقلين، وإمام الكونين، والشفيع للدارين، أمين وحي ربه، وشافع يوم وعده، المبعوث رحمة للعباد، المختص لفصل القضاء يوم المعاد، سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا وملجانا يوم بعثنا، محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ورضي الله عن أصحابه وتابعهم إلى يوم مآبه، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلّم تسليماً.